— ١ —

ادب العراق في العهد العثماني

د . علي احمد الزبيدي
الاستاذ في كلية الاداب ـ جامعة بغداد

(١) عصوره وأصوله ومصادر دراسته

بدأ العهد العثماني في العراق بانتصار السلطان سليمان القانوني على الصفويين واستيلائه على بغداد عام ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م . وقد دام حكم العثمانيين ما يقرب من أربعة قرون وانتهى بالاحتلال البريطاني للعراق وعاصمته بغداد سنة ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م . ولم تنقطع تبعية العراق لدولة آل عثمان طيلة هذه الحقبة اذا استثنينا المدة القصيرة التي نجح الصفويون خلالها في استعادة بغداد وجزء من العراق اوائل القرن الحادي عشر للهجرة ١٠٣٢ ـ ١٠٤٨ هـ / ١٦٢٢ ـ ١٦٣٨ م اي في بداية الحكم العثماني . واذا استثنينا ايضا السنوات القليلة التي هجم خلالها الايرانيون كرة اخرى في عهد نادر شاه واستطاعوا احتلال بعض اجزاء العراق ومحاصرة بغداد ثلاث مرات والارتداد عنها خائبين ثم قيامهم بحصار الموصل حصارا فاشلا ايضا سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م

وكانت سياسة الدولة العثمانية وأساليبها البالية في الحكم ، وتوالي الاحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية والدينية الخطيرة قد اربكت ارتباط العراق باسطنبول وانهكته واقلقت حكامه الجدد واجهزت على البقية الباقية من عمرانه ، ان كانت ثمة بقية حقا .. هذه الاحداث وغيرها جعلت كل

عصر من العصور العثمانية المتعاقبة يتسم بسمات خاصة تميزه عن غيره ، وهو أمر حدا بالمؤرخين الى تقسيما لعهد العثماني في العراق الى اربعة مراحل او أدوار أو عصور وهو تقسيم تاريخي أخذ به اغلب المختصين بالتاريخ العثماني في العراق أما الباقون او المخالفون فمنهم من جعل العصور العثمانية في العراق خمسة ومنهم من اختصرها الى ثلاثة • ومصطلح العصر افضل للاستعمال من لفظ الدور أو المرحلة لانه اكثر استعمالا وشيوعا في تاريخ الادب العربي •

لقد كان العصر الاول الذي ابتدأ بالفتح العثماني لبغداد سنة ٩٤١هـ مرحلة صراع عنيف بين العثمانيين الاتراك والصفويين الفرس ، وهو صراع جلب المصائب للعراق والعراقيين زيادة على ما نزل بهذه البلاد منذ سقوط بغداد (سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨) بايدي المتوحشين المغول ، ثم خراب معظم ما اعيد اصلاحه خلال العصر الايلخاني والجلائري والتركماني (٦٥٦ ــ ٩٤١ هـ) مع العلم أن تلك الاصلاحات الطفيفة لم توقف عجلة تخريب العراق وبخاصة نظام الري بسبب الحروب التي استعرت بين قبيلتي القره قوينلو وآق قوينلو التركمانيتين وبين الثانية والصفويين الفرس الى أن نجح الشاه اسماعيل في الاستيلاء على بغداد سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٩م • ويجدر بنا ان لا ننسى ونحن نتحدث عن جرائم الغزاة الحلقات الدموية الاخرى من مسلسل التخريب والحرق والمحق وسفك الدماء وسائر الفظائع التي اقترفها تيمورلنك الذي احتل بغداد سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م حتى اذا استعادها منه الجلائريون سنة ٧٩٧ عاد فاحتلها ثانية عام ٨٠٣ هـ فدمرها واعمل السيف في اهلها بلا تمييز فكانت اكبر مذبحة عرفها تاريخ بغداد حتى قيل انه أمر كل فرد من مقاتليه ان يأتيه بعدد من الرؤوس فبنى ابراجا من الجماجم • ولم يستطع الجلائريون

اخراجه منها الا بعد خمس سنوات كانت كابوسا دمويا في تاريخ بغداد[1] ولم تنقطع سيول الدماء بعد الاحتلال العثماني الاول ، فقد نجح الصفويون في احتلال بغداد ثانية سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ بعد حصار طويل حافل بالمآسي والدسائس والخيانات[2] ثم حكموها حتى سنة ١٠٤٧هـ / ٦٣٧ ففيها تمكن السلطان مراد الرابع من استعادة بغداد التي اصبحت مدينة صغيرة يشيع فيها الخراب كما يشير السواح القلائل الذين زاروها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر[3] وقد تم طرد الصفويين من العراق بعد معارك حامية الوطيس • وبقيت بغداد والعراق في حوزة العثمانيين طيلة القرون الثلاثة التالية اي حتى عام ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ •

ومن الطبيعي أن تختلف الازمان والاحوال في اثناء هذا العهد المديد ، وأن يتسم كل عصر منه بخصائص وسمات ولهذا قسمه المؤرخون الى خمسة أعصر على النحو الآتي :

١ ــ عصر النزاع الصفوي ــ العثماني ٩٤١ ــ ١٠٤٨ هـ / ١٥٣٤ ــ ١٦٣٨ م وقد أشرنا الى ابرز احداثه • ويتميز هذا العصر بضراوة الصراع التركي ــ الفارسي وطوله وكثرة وقائعه وحروبه وكوارثه ، وبالتهاب النزاع المذهبي ودمويته ، فالصفويون تعصبوا للمذهب الشيعي بعنف ، والعثمانيون

---

(١) انظر : جعفر خياط : صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، المقدمة ١١ ــ ١٣ وترجمته لكتاب : لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق. وعباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين جـ ٤ وتاريخ الادب في العراق جـ١ و ٢ . وقوائم المراجع في الكتب المذكورة .

(٢) للمزيد من التفاصيل انظر : عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين جـ ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) للمزيد من التفاصيل : انظر : بغداد سنة ١٥٧٣ ترجمة سليم طه التكريتي . مجلة المورد م/٥ ٢/٤ ١٩٧٦ واحوال بغداد في العصر العثماني / نورس / المورد م/٥ و ع/٣ ١٩٧٦ والاول تعريب لرحلة الطبيب الهولندي راولف .
وانظر : سعاد العمري : بغداد كما وصفها السواح الاجانب. بغداد ١٩٥٤ .

تعصبوا للسنة وجعل كل منهما من المذهب واجهة وذريعة سياسية دينية لتوطيد سلطانه وتبرير حملات وجرائم تصفية الخصوم . وتضافرت السياسة والجهل والفقر والقحط والجوع والوباء وويلات الحرب وسيل البدع والطرق الصوفية على توسيع خارطة البؤس والتأخر والتمزق الديني والاجتماعي وتقوية العصبيات المحلية والقبلية والمذهبية لاضعاف العراق والاستحواذ على خيراته . حقا ان فرائص الانسان لترتعد هلعا وهو يقرأ اوصاف الكوارث التي حلت بالعراق ليطلع على الاحوال السياسية والاجتماعية ، أما الاحوال الثقافية فتتميز خلال العصر العثماني الاول بتدهور الادب وضعفه وعجزه حتى عن اللحاق بالعصور المتأخرة مع تخلفها وفقرها . وقد اقترن التدهور والضعف بتوسع نفوذ اللغة الفارسية بتأثير الصفويين ، واستمرار الغزو اللغوي التركي الذي بدأ منذ العصر المغولي ثم تغلغله في الميادين الادارية والاجتماعية والادبية بعد الاحتلال العثماني . حتى أن الموجة التركية العثمانية نجحت في وقت مبكر في تخريج أجيال من الشعراء والادباء والمؤلفين العراقيين يقرضون الشعر ويكتبون النثر بالتركية الآذرية ، فكان لهم فضل وضع اسس ودعائم الادب التركي والتمهيد لمستقبله اللغوي والفني[٤] . واشهر اولئك الشعراء فضولي البغدادي وابنه فضلي وشمسي البغدادي وابنه عهدي الكاتب المؤرخ المشهور بكتابه (كلشن شعرا) الذي اورد فيه اسماء نحو أربعين شاعرا من شعراء بغداد الذين كانوا ينظمون بالتركية والفارسية والعربية في اواخر القرن العاشر الهجري[٥] . وفي هذا العصر ازدادت اهمية المراكز الثقافية العربية المهمة في المدن الكبيرة كالبصرة والنجف والحلة نتيجة لتمركز النفوذ السياسي والثقافي التركي في بغداد ، حتى ان البصرة اصبحت من اكبر مراكز الادب والثقافة العربية بفضل أسرة افراسياب التي حكمتها وراحت ترعى الشعراء والادباء العرب لاسناد سياستها الاستقلالية المناهضة للولاة

---

(٤) حسين نجيب المصري : تاريخ الادب التركي ، وكتابه : فضولي البغدادي

(٥) والعزاوي : تاريخ العراق ٤/١٣٣ ـ ١٣٨ وكلشن شعرا لعهدي البغدادي .

العثمانيين في بغداد[٦] . واسهم في هذا الازدهار العربي ايضا استمرار حكم المشعشعين في الحويزة وخوزستان . وكان هؤلاء يفيدون من الصراع الفارسي العثماني لابقاء امارتهم ويجتذبون الشعراء والادباء ويجزلون لهم العطاء[٧] . وقد انجبت منطقتهم كبار شعراء العصر كعبدعلي الحويزي وابن معتوق شهاب الدين الموسوي . ومن خصائص هذا العصر اندماج شعراء البحرين بشعراء العراق اقليميا واديبا وفنيا لهذا الحقتهم المصادر بالعراقيين لانهم يؤلفون مجموعة واحدة متجانسة . ومن مشاهير شعراء وادباء العصر الذين اتصلوا بالامارات المذكورة وفرضوا شاعريتهم وشهرتهم والترجمة لهم في المصنفات المعنية بعصرهم : ابو الغنائم محمد الحلي ، وحسين بن كمال الدين الابرز الحلي ، ومحمد بن عواد الشهير بالهيكلي الحلي ، وعلي بن خلف الحويزي وهؤلاء هم الذين ترجم لهم ابن معصوم في (سلافة العصر)[٨] والمحبي في خلاصة الاثر ، وفي نفحة الريحانة[٩] . ولا ريب في أن تقدمهم على شعراء عصرهم وشهرتهم قد اوصلت اخبارهم الى كتاب التراجم والتواريخ من الشاميين والمصريين . وكان عبد علي الحويزي أشهرهم وأقدرهم على الشعر المتصنع المساير لذوق العصر ، وللحويزي اشعار بالفارسية والتركية وقيل (دواوين) وذلك امر له دلالاته المهمة في تأريخ آداب العصر ، ومن حسن حظ الحويزي ان كثيرا من شعره وبعض مؤلفاته قد وصلت الينا.ومنها مؤلفاتفي الادب والتاريخ والموسيقى والشعر الشعبي[١٠] .وقبيل هذا العصر انتهت موجة

---

(٦) وانظر : محبوبة : ماضي النجف وحاضرها . وعلي الخاقاني : شعراء الغري . وعن الحلة انظر : محمد علي اليعقوبي : البابليات. والخاقاني : شعراء الحلة والدكتور جواد علوش : صفي الدين الحلي ١١ و ٤١ .

(٧) محمد الخال : تاريخ الامارة الافرا سيابية (مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٦١) وهو قسم من كتاب (السيرة المرضية في شرح الفرضية) لعبد علي الحويزي .

(٨) انظر : جاسم حسن شبر : تاريخ المشعشعين (النجف ١٩٦٥) .

(٩) انظر : سلافة العصر : ٥٣٧ ـ ٥٦٢ وخلاصة الاثر .

(١٠) المراجع السابقة وانظر اغا بزرك : الذريعة ٩/٦٩٠ ـ ٦٩١ رقم ٤٨٠٠ـ٣ ١٣٩ ـ ١٨٠ ونفحة الريحانة وهدية العارفين ١/٥٨٦ .

التأليف في النقد والبلاغة والبيان الى مد (ابديع) وتحولت الى ما يشبه (الوصفات) على الانماط التي تطالعنا في (خزانة الادب) لابن حجة الحموي و (معاهد التنصيص) للعباسي واضرابهما واستطاع المد البديعي أن يهيمن على اساليب التعبير الشعري والنثري فيقيدها ويجمدها ويحد من حركتها وحريتها الفنية ويحاصرها في دوائر ضيقة ويكبلها باغلال المحسنات اللفظية المصطنعة . وكان موج الشعر التعليمي قد امتد الى فنون الشعر والبلاغة ليجعل منها (محفوظات) ثم اعقبته القصائد التعليمية المعروفة بـ (البديعيات) فاحالت الشعر الى مقررات جافة وقوالب جامدة حاصرت الفن في ضرب من (الروتين)الذي يعتمد الحفظ والتلقين والتكرار والتطبيق الجاف. وسنفصل الكلام في هذا عند البحث في الفنون والاغراض والاساليب . وهنا يحسن ان نتذكر فنؤكد أن الحياة الادبية وبخاصة في العراق قد تأثرت تأثرا عميقا بالحروب والنكبات الكبرى التي تتابعت منذ سقوط بغداد وتوالت بعد ذلك في اثناء الصراع الصفوي ـ العثماني فتقلص النشاط الادبي والفكري بوجه عام وبدت الالسنة والاقلام وكأنها انشلت او تعطلت منتظرة انجلاء الجو السياسي والعسكري المدلهم . ومن مشاهير شعراء العصر اضافة الى من ذكرنا : عيسى بن حسين النجفي وقد ترجم له ابن معصوم وجمال الدين محمد بن عبدالله النجفي ، وعبدالرحمن الموصلي الشيباني وله ديوان في كوته وبرلين وياسين المفتي وحسن عبدالباقي وديوانه مطبوع ونصرالله الحائري وديوانه مطبوع ، وغرس الدين الخليلي وله ديوان مرتب على حروف المعجم واكثر قوافيه من الالفاظ المشتركة كالخال والعين ، ومن مشاهير الناثرين عبدالقادر البغدادي صاحب خزانة الادب والبديعي مؤلف الصبح المنبي ، والشاعر عبد علي الحويزي وابن الحكيم (حكيم زاده) وفتح الله الكعبي ومحمود الغرابي وياسين المفتي[11] وكان جل اعتماد الثقافة الادبية واللغوية والدينية على الجوامع والمدارس الملحقة بها ، وخزائن كتبها ، اما اهتمام الحكام واولي

---

(١١) انظر مراجع الهامش (١) والعزاوي : تاريخ الادب ٢/٢٥١ وما بعدها

الامر بتشجيع العربية وادابها فقد انتهى امره أو كاد منذ قرون اي مذ اصبح الحكام والسلاطين والوزراء من الاعاجم . ولكن هؤلاء لاسباب دينية ودنيوية أكثر ما اهتموا بالجوامع والمدارس فظل الكثير منها قائما في عهود المغول والتركمان . ويقرر العزاوي اننا لا نستطيع ان نعد جديدا من هذه المؤسسات لهذا العهد «لأن الجوامع والمدارس والتكايا في بغداد لما قبل الفتح العثماني كثيرة جدا ، تدل على عناية الامة واتصالها بعقيدتها وثقافتها ، وكان عملها كبيرا في تحقيق الامرين : بث العقيدة وتأكيد الثقافة[١٢] » . «وغالب ماعملته الدولة تجديد ما اندرس من هذه المعاهد من الوقف (اي من اموال الاوقاف) فاكتسب بعضها اسما جديدا » ثم ذكر العزاوي جملة مما عمر وجدد كجامع الشيخ عبدالقادر ومدرسته ، والامام الاعظم ومدرسته وجامع الوزير ومدرسته وجامع الصاغة ومدرسته وجامع الكاظمين وتكية المولوية ، وتكيـــة خضر الياس البكتاشية ، وجامع السراي ، وجامع جديد حسن باشا . : وهذه تضاف الـى ما كان قائما سابقا مثل مسجد قمرية ، والمدرسة المستنصرية ، والمدرســـة النجيبية ، ومدرسة السهروردي ، ومدرسة جامع الفضل ، وجامع مرجـــان .. الخ ويؤكد العزاوي ان العراق فاق غيره في كثرة المدارس والعناية بهـا ، وان رغبة اهله في الثقافة هي التي ابقت عليها ، وانها « منبع الادب وأس العلوم ، ولولاها لما ثبتت او استقرت لنا ثقافة » . وقد فقد الكثير مما كان في خزائن المدارس والجوامع من كتب ومصنفات بســـبب الحرب والغـزو والنكبات ، ولان الصفويين ومن ثم العثمانيين نقلوا اعدادا كبيرة منها الـــى بلادهم . ومع هذا فقد حفظت آثار ادبية وعلمية كثيرة « ولم تنعدم او تزول ولا نزال لحد الان تتمتع بهذه الاثار ، وغالبها محفوظ في الجوامع والمساجد او لدى بعض الاسرات القديمة والحديثة »[١٣]

---

(١٢) العزاوي تاريخ العراق بين احتلالين ٤/٢٩٠ .
و ص ١٨٠ ــ ١٨٨ وسنذكرها مع المراجع الاخرى في الفصل القادم .
(١٣) نفســه ٢٩١ .

وقد بدأ باستعادة السلطان مراد الرابع بغداد وابعاد الصفويين عن العراق وانتهى بابتداء حكم مماليك العراق • وتمتاز اوائل هذا العصر بفتور النزاع التركي ــ الفارسي وبسيطرة الانكشارية على الولاة واستبدادهم بالامر وعبثهم بالبلاد والمصالح وارتكابهم العديد من المظالم والجرائم والآثام ومن ابرز احداثه بروز قوة الايرانيين في اواخره بظهور نادر شاه وشنه هجمات متتالية على العراق ومحاصرته بغداد والموصل • وقد صمدت المدينتان في وجهه فباء بالفشل • ومما يميز هذا العصر فتور حدة العصبيات بتأثير سياسة نادر شاه المعتدلة التي تخلت عن التعصب المذهبي • وشهدت اواخر العصر البوادر التي مهدت لحكم المماليك أيام ولاية حسن باشا وابنه احمد باشا • وقد نجح هذان الواليان في حكم العراق ، وتوطيد الامن فيه ، وصد الهجمات الايرانية • وهما اللذان جلبا عددا كبيرا من المماليك الجركس والقفقاس وغيرهم وجعلا منهم قوة عسكرية ضاربة استطاعت ان تسيطر على العراق بعد وفاة احمد باشا •

ومن اهم احداث هذا العصر قيام ولاية الاسرة الجليلية في الموصل وكان عميدها واول حكامها حسين باشا الجليلي قد قام بدور مشرف في صد نادر شاه واحباط حصاره الشهير للموصل •

وكان لهذا الانتصار وقع عظيم في شعر العصر ونثره في الموصل وبغداد وهنا يجدر ان لا نغفل عن الثورات العشائرية العديدة في وسط وجنوب العراق لانها عبرت عن مشاعر العراقيين ومواقفهم من الحكم التركي وأكدت مقاومتهم المستمرة لمظالم الولاة • وكانت ثورة الخزاعل التي قمعها الوالي درويش باشا بوحشية وعنف اقوى واشهر تلك الثورات •

وفي المجال الثقافي شهدت اواخر العصر انتعاشا ادبيا وعلميا بتأثير عوامل عديدة اهمها رعاية الوالي حسن باشا وابنه احمد باشا للشعراء والعلماء ، وسياسة الجليليين الذين عنوا عناية كبيرة بالحركة العلمية والادبية فاسسوا المدارس وعمروا الجوامع وقدموا الهبات والاعانات للمؤلفين والمترجمين ووسعوا المكتبات .. الخ وكان بين الجليليين انفسهم ادباء وعلماء يستحقون الذكر . ولكن حذار ان تظن أن هذا التحرك الثقافي يعني ان الاحوال الاقتصادية والاجتماعية قد تحسنت ، فعجلة التدهور كانت ماضية في دورانها ، والمصائب والكوارث الصحية والاجتماعية والاقتصادية تتوالى آخذاً بعضها برقاب بعض ، وحملات القمع والعسف تتكرر ، واستبداد الانكشارية وتجبرهم وعبثهم يتفاقم ، واستهتار قادتهم وصنائعهم بمصالح البلاد والعباد يشتد وتزداد ضحاياه . وكان تتابع الولاة من الضعفاء وفاسدي الذمم والاخلاق خلال اشهر يدفعهم الى التهالك على الاطماع والانغماس في الملذات والارتشاء والنهب فينقل الحال من سيء الى اسوأ . ولم تتحسن الاحوال بعض التحسن الا في آخر العصر .

ان العصرين التاريخيين الاول والثاني مختلفان من الوجهة السياسية غير ان هذا الاختلاف لا اهمية له في تاريخ الادب فهما من هذه الناحية عصر ادبي واحد . ان مشاهير الشعراء الذين ذكرناهم ادرك معظمهم العصر الثاني الانكشاري أما انواع النتاج الادبي ومذاهبه وخصائصه ومستوياته وفنونه وموضوعاته فقد ظلت على ما كانت عليه ولم تسجل تحركا يستحق الذكر .وكانت احداث العصر الانكشاري في بغداد قد جمدت الحياة الادبية فيها واصابتها بالشلل والعقم فبدت متخلفة عن البصرة والموصل والنجف والحلة . ومن اشهر شعراء هذا العصر حسن عبدالباقي الموصلي (ت ١١٧٦ هـ) ونصر الله الحائري (ت ١١٥٨ هـ) وخليل البصير (ت ١١٧٦ هـ) صاحب الارجوزة الشهيرة التي سجلت بطولة الموصل في صد هجوم نادر شاه سنة

١١٥٥ هـ ، ومحمود الغرابي (١١٠٠ هـ) وجرجيس بن درويش الموصلي (ت ١١٤١ هـ) . وانجب العصر أيضا عددا من الناثرين والمصنفين سياتى ذكرهم عند دراسة العصور الادبية تفصيلا .

ومما يحسن التنبيه اليه هنا ان الحياة الادبية والفكرية في النصف الثاني من هذا العصر (بين اواسط القرن الحادي عشر واواسط الثاني عشر (للهجرة) كانت اوسع واغنى ، لان الصراع الصفوي العثماني قد شغل الناس ورجال الثقافة والادب بالمعارك والمصائب المتلاحقة . صحيح ان حركة التأليف في الاداب والعلوم ونظم الشعر والنثر لم تتوقف حتى خلال سنوات النزاع ، الا انها كانت ضعيفة ضيقة ، زد على هذا ان احداث العصر وكوارثه أضاعت اغلب الدواوين والمصنفات والوثائق حتى ليجد المؤرخ عَنَتاً كبيرا اذا اراد التوسع في الدراسة.ولم يقتصر الضياع على الاثار العربية بل شمل الاثار التركية نفسها ، فالقسم الاعظم من الادب المكتوب بالتركية قد ضاع او توارى في الزوايا والخفايا . ومازال مؤرخو الادب العثماني يعترفون بأن الغموض يسود هذه المرحلة من تاريخ الادب التركي[١٤] . وثمة ظاهرة خطيرة المحنا اليها تميز اوائل هذا العصر عن اواخره . ففي اوائله كسبت الفارسية مجموعة من ادباء العراق واعقبتها التركية فكسبت عددا أكبر حتى رجحت كفة اللسان التركي وبخاصة في الشعر . اما في النصف الثاني اي قبيل عصر المماليك التالي فقد عادت كفة العربية الى الرجحان واستعادت نفوذها الادبي والعلمي وبخاصة في الموصل حتى « غلبت على ثقافة العهد فكانت لغة التأليف في شتى العلوم والمعارف ، اضافة الى كونها لغة الشعر والادب . ويوجد في خزائن الكتب الموقوفة والخاصة في مدينة الموصل عدد ضخم من المؤلفات الادبية والعلمية والدواوين ، كتبت او نظمت بلغة عربية جيدة

---

(١٤) انظر : حسين مجيب المصري : تاريخ الادب التركي ١٧٥ ـ ١٩٠ .

... الخ »[١٥] وقد استمر هذا الازدهار في عهد المماليك واسهم في ايقاظ الروح القومية والامال العربية[١٦]

وقد توالى على بغداد خلال العصر العثماني الاول اكثر من ثلاثين واليا كان اولهم سليمان باشا (٩٤١ - ٩٤٣هـ) وآخرهم بكر صوباشي (١٠٣١ - ١٠٣٢ هـ) الذي انتهت ولايته بالدسائس والخيانات التي سبقت احتلال الصفويين بغداد كرّة أخرى في عهد الشاه عباس . وخلال السنوات الست عشرة التالية اي خلال الاحتلال الصفوي حكم بغداد ولاة ايرانيون . وبعد ان استعادها مراد الرابع سنة ١٠٤٨هـ تعاقب عليها نحو اربعين واليا عثمانيا حتى عهد المماليك الذي بدأ سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٨ . وكان اولهم كوچك حسن باشا الذي تولاها ثلاث مرّات اولها سنة ١٠٤٨هـ . وكان آخرهم كسريه لى الحاج احمد باشا (١١٦١هـ) اما اشهرهم فهو حسن باشا الذي ادخل نظام المماليك (١١١٦ - ١١٣٦هـ) وابنه احمد باشا (١١٤٩ - ١١٦٠هـ) وقد مر ذكرهما[١٧] .

٣ - عصر المماليك ١١٦٢ - ١٢٤٧هـ/١٧٤٨ - ١٨٣١

وكان اول من جلب المماليك حسن باشا وابنه احمد باشا كما مر بنا وقد عنيا بتدريبهم على الاعمال العسكرية والادارية حتى وصل بعضهم الى اعلى الرتب والمناصب ولكنهم لم يظهروا على مسرح الحكم الا بعد وفاة احمد باشا . واول المماليك سليمان ابوليله ١١٦٢ - ١١٧٥ / ١٧٤٨ - ١٧٦١ م الذي تزوج ابنة سيده احمد باشا وتولى الايالة من بعده . وبسليمان ابتدأ عهد المماليك في العراق ودام نحو ثمانين عاما توالى خلالها على بغداد اثنا عشر واليا آخرهم داود باشا الشهير (١٢٣٢ - ١٢٤٧ هـ / ١٨١٦ ١٨٣١ م) وقد اجمع المؤرخون على أن احوال العراق في هذا العهد (باستثناء

---

(١٥) د . عماد عبد السلام : الموصل في العهد العثماني ٣٦٨ .

(١٦) نفسه .

(١٧) انظر : دليل خارطة بغداد ٢٨٦ - ٢٩٥ (مطبوعات المجمع العلمي ١٩٥٨)

مـــدة ولاية داود باشا[١٨] كانت سيئة اذ تـوالت الاضطـرابات والفتن والدسائس والحروب الاهلية ومآسي الظلم والاستبداد والبطش الوحشي بالعشائر التي تعددت ثوراتها لتزايد الفقر والجور وتتابع غارات القمع ونهب الاموال • وكان المماليك قد وطدوا سلطانهم بعد ان بطشوا بالانكشارية وانصارهم فخلا لهم الجو وقويت شوكتهم حتى جنحوا الى الاســـتقلال والتمرد على الباب العالي • ودفعت الجرأة بعضهم الـــى الفتك بمبعوثي السلطان العثماني • ولكن بعضهم وبخاصة آخرهم داود باشا فـــام ببعض الاصلاحات التي ضاع اثرها في خضم المساوىء الاقتصادية والاجتماعيـة المتردية • ومع هذا فان سياسة المماليك الانفصالية دفعتهم الى رعاية بعض رجال الادب للدعاية لانفسهم ولتوطيد حكمهم المزعزع • غير ان هذه الرعاية جاءت متأخرة فلم تكن لها اهمية تذكر الا في عهد داود باشا آخر المماليـك الذي كان هو نفسه مولعا ببعض العلوم •

ومن مميزات هذا العصر في العراق ازدياد قوة أسرة بابان التي تزعمت ثورات القبائل الكردية وفتحت الباب كالعادة لتدخل الايرانيين فتجـــددت الحرب وانهالت ويلاتها على شمال العراق وجنوبه • وازداد في هذا العصر ايضا تغلغل النفوذ الاوربي وبخاصة البريطاني تحت ستار التجارة وبتشجيع بعض ولاة المماليك انفسهم ليكسبوا سندا اجنبيا يدعم سياستهم المعاكسـة لسلطة العاصمة العثمانية • والملاحظ ان الانتعاش الادبي والعلمي وبخاصة في العلوم الشرعية لم يكن نتيجةالسياسة المملوكية فقط بل ثمرة عوامـــل عديدة أهمها أزدياد احتكاك العراقيين بالحضارة الاوربية الجديدة وبالنهضة او اليقظة العربيـة الحديثـة في مصـر التي هزتهـا وغـيرت احوالهـــا الحملة النابليونية ثم ظهور محمد علي الكبير والاحداث السياسية والعسكرية المتعاقبة التي اثارتها حملاته على الشام وقلب الجزيرة العربيـة التي ظهر فيهـا

---

(١٨) انظر : عبدالعزيز نوار : داود باشا القاهرة، ودكتور يوسف عزالدين: داود باشا (بحث موجز) بغداد ١٩٧٧ ومراجعهما . وجعفر خياط : صور من تأريخ العراق . علاء نورس : حكم المماليك في العراق ، بغداد ١٩٧٥ .

الوهابيون وكان لهذه الاحداث اثار أو تأثيرات في حياة العراق والعراقيين كما كان للصراع بين المحافظين والمجددين في اسطنبول نفسها اصداء وآثار واضحة في العراق والولايات العثمانية القريبة ، ويجب ان لا نغفل ايضا امتداد النفوذ الانكليزي والفرنسي التجاري والعلمي المهتم بالآثار القديمة والاحوال الاجتماعية والجغرافية الاستكشافية لاسباب سياسية واقتصادية وغيرها • وقد بان هذا الانتعاش او الازدهار المتواضع في الآداب والعلوم الدينية في نتاج الشعراء والادباء والمشتغلين بالتأليف والتصنيف في العلوم العربية والاسلامية ، وفي بعض النزعات والمؤشرات التي اتجهت الى شيء من التجديد في بعض الافكار والموضوعات ومهدت للنهضة الادبية والفكرية التي ظهرت بوادرها القوية في العصر الثاني اي في القرن التاسع عشر ، وهي بوادر هيأت اسباب ودوافع ومقومات النهضة الادبية الحديثة في العراق[١٩] •

ومن مشاهير شعراء هذا العصر العشارى البغدادي (ت في حدود ١٢٠٠هـ) وقد طبع ديوانه محققا في العام الماضي ١٩٧٧ ، والشيخ محمد كاظم الازري (ت ١٢١١ هـ) وديوانه مطبوع والشيخ احمد النحوي وله ديوان وشعر كثير (ت ١١٣٨) والحاج محمد جواد البغدادي وله ديوان في خزانة العزاوي (ت بعد سنة ١١٦٣ هـ) والشيخ عبدالرحمن السويدي (ت ١٢٠٠ هـ) وله ديوان في خزانة العزاوي • ومحمد امين آل ياسين المفتي

---

(١٩) اكد الباحثون هذه الظاهرة انظر :

ابراهيم الوائلي : الشعر السياسي العراقى في القرن التاسع عشر (ط٢ بغداد ١٩٧٨)

د . يوسف عز الدين : الشعر العراقى اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر (ط٣ بغداد ١٩٧٧)

د.محمد مهدي البصير : نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر

الاب لويس شيخو : الاداب العربية في القرن التاسع عشر (بيروت ١٩٢٤) وهو عرض قاصر

وانظر كتابي : المسرحية العربية في العراق (القاهرة ١٩٦٦) . الفصل ١و٢

واحلام فاضل : السيد حيدر الحلي . رسالة ماجستير . كلية الاداب .

وديوانه مجلد ضخم في خزانة العزاوى (ت ؟) وعبدالله آل ياسين المفتي ـ ابن محمد امين السابق ذكره ، وله ديوان في ٢٨٠ ورقة في خزانة العزاوي .. وقد ذكر العزاوي شعراء آخرين لم يعثر لهم على ديوان منهم من كثر شعره ومن قل كيحيى البغدادي (ت ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م) وقاسم الرامي (ت ١١٨٦ هـ) وعبدالرسول الطريحي (ت ١١٨٦ هـ) وحسن الموصلي (ت ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ هـ م) ومحمد امين الخطيب العمري (ت ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م) وصادق الفحام (١٢٠٤ هـ ١٧٩٠ م) والحاج سليمان الشاوي (١٢٠٩ هـ ١٧٩٤ م) ومحمد رضا ابن الشاعر احمد النحوي المذكور (١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م) وعثمان بن سند (١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧ م) وصالح السعدي الموصلى (١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩) والحاج عثمان الجليلي (١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩) وعلي علاءالدين الموصلي (١٢٤٧ / ١٨٣١ م) ومحمد جواد السيهابوش (١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م) ولاكثر المذكورين نتاج نثري اضافة الى الشعر ، وبعضهم من اصحاب البنود التي تولع بها فريق من شعراء العراق منذ اوائل العصر العثماني[٢٠] وكان العشاري من اشهر هؤلاء[٢١] . ولكن النثر كان له رجاله المجلون كالشيخ محمد مصطفى الغلامي (١١٨٦/١٧٧٢) مؤلف شمامة العنبر الذي أثنى عليه المصنفون العراقيون وغير العراقيين[٢٢] ، وعثمان الدفتري صاحب (الروض النضر) (١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م) والشيخ عبدالله السويدي مؤلف (النفحة المسكية في الرحلة المكية) و (حديقة

---

(٢٠) انظر : جميل الملائكة : ميزان البند.
وعبدالكريم الدجيلي : البند في الادب العربي ، (بغداد ، ١٩٥٩) .

(٢١) انظر : ديوان العشاري : تحقيق الدكتور عبدالسلام رؤوف ووليد الاعظمي . الطبعة الاولى (بغداد ١٩٧٧) .

(٢٢) مقدمة (شمامة العنبر) لاستاذنا الدكتور سليم النعيمي وهو الذي حقق الكتاب ونشره . وانظر عن محمد مصطفى الغلامي كتاب : العلم السامي في ترجمةالشيخ محمد الغلامي للاستاذ محمد رؤوف الغلامي ، وقد نشره وكتب مقدمته صديقنا الفاضل الطيب الخلق والذكر الاستاذ عبدالمنعم الغلامي رحمه الله وطبعه في الموصل سنة ١٩٤٢ م .

الزوراء في سيرة الوزراء) ومصنفات عديدة اخرى . وكالاديب المؤرخ عثمان بن سند البصري مؤلف كتابه المعروف في داود باشا (مطالع السعود في طيب اخبار الوزير داود) و (سبائك العسجد في اخبار احمد نجل رزق الاسعد) و (أصفى الموارد من سلسال احوال الامام خالد) ومن مشاهير الناثرين ايضا الحاج عثمان الجليلي ١٢٤٥هـ/١٨٢٩)وقد اشتهر بكتابه (الحجة على من زاد على ابن حجة)[٢٣] ولعله من اهم المصنفات في علم البديع والنقد المتقيد ببديعيات هذا العصر . وكان هؤلاء أي اعلام النثر في العراق يلتزمون بما يلتزم به كتاب العصور المتأخرة من تصنع بديعي وتآنق لفظي وسجع وازدواج وولع شديد بالتضمين ، ومن تكرار واعادة ودوران في دوامة فكرة واحدة لا يكادون ينفلتون منها .ولكنهم يمتازون بذخيرتهم اللغوية الغنية ، وبسعة اطلاعهم على التراث العربي القديم وتمسكهم بنماذجه ولاسيما المتأخرة وبخاصة في فن النثر المصنع . وقد رسخ كل هذا طابعهم (السلفي) الغالب عليهم وشدهم اليه وجرّد مواهبهم واقلامهم من المقدرة على الابتكار والتجديد .

وهكذا نلاحظ أن عصر المماليك كان غنيا بشعرائه وكتابه بالقياس الى العصور المتأخرة السابقة ، وان احواله الثقافية اكثر سعة وحيوية ، وهذا ما اكده الذين اهتموا بعصر المماليك من اصحاب الدراسات التاريخية العامة والخاصة . ولكن اخبار شعرائه وكتابه قليلة لا تطرد مع كثرتهم وشهرة بعضهم وفي هذا يقول عباس العزاوي رحمه الله : ليس في الامكان الاحاطة بادباء عصر تكاثرت جهود اهليه وتوفرت للادب واتقانه ، وتنوعت ضروبه في المديح والارتزاق ، أو جاشت النفس به ، او كان للوسط مكانته للتأثير فيما هنالك من منظوم ومنثور ، فان الثروة العربية في الشعر تعددت فنونها ، وصارت توافق الاذواق المختلفة .. فلابد ان يظهر شعراء متوالون يزيدون في الثروة الادبية ... ولكن دواوينهم فقدت او شعرهم

---

(٢٣) نشره الدكتور محمد صديق الجليلي وطبع في الموصل سنة ١٩٣٧ م .

الموجود لا يمثل حقيقته ولا يكون صفحة تجلو ماهيته .. » وانهى العزاوي كلامه الذي اسقطنا بعض عباراته لغموضها او زيادتها بفقرة انصفت شعر هذا العصر وانتقدت كتابا صغيرا عن شعرائه فقال : « وفي آخر عهد المماليك استقر الشعر ، وتمكن في بغداد ، وفي الاطراف ، ونال مكانة مقبولة كسائر فنون الادب ، ولم يخل من علاقة بين شعراء العراق ، او بينهم وبين بعض رجال الاقطار العربية ، وكلنا ثقة أن ينجلي الوضع الادبي من وجوهه المختلفة ، وتزول الفكرة السيئة التي ولدها كتاب (تذكرة الشعراء او شعراء بغداد وكتابها أيام داود باشا)[٢٤] . فالكتاب اصله كتب باللغة التركية ، وذكر بعض ادبائهم فترجم بلغة عامية ، وجعل له عنوان ضخم لاستهواء القراء فأفسد تاريخ الادب ، فهو لا يمثل الادب ولا الشعر في هذا العهد » . وراى العزاوي في هذا الكتاب صحيح لا مطعن فيه لان ما في الكتاب تافه لا خير فيه الا ان قلة المراجع والمعلومات والنصوص كانت بلا ريب سبب الاهتمام به وقيام الاب انستاس الكرملي بنشره[٢٥] . والان وقد مر ربع قرن على ظهور كتاب العزاوي تبدو شكواه من قلة مراجع ودواوين العصر المملوكي في العراق زائدة عن الحد ، فقد خفف من حدتها نشر بعض الدواوين ، والعثور على أخرى ، وطبع عدد من كتب التراجم والتاريخ ، وظهور بعض الدراسات التاريخية الحسنة ، ولاشك في أن القيام بدراسة ادبية شاملة لعصر المماليك أمر نحن في اشد الحاجة اليه فهو قريب جدا من عصرنا هذا ، وموقعه التاريخي في غاية الاهمية لانه غطى القرن الثامن عشر الميلادي وهو عصر الثورة الصناعية والاستعمار في اوربا ، وعصر تحرك العرب والترك والفرس للخروج من قرون التأخر والقهر والدخول في عصر اليقظة والنهضة والحضارة العصرية ، وقد كثر فيه النتاج الشعري والنثري

---

(٢٤) الكتاب من تأليف عبدالقادر الخطيبي الشهراباني ويقع في ١٠٨ صفحات وقد نشره الاباانستانس الكرملي وطبع بغداد سنة ١٩٣٦ . وراى العزاوي فيه في محله .

(٢٥) تاريخ الادب في العراق ٢/٣١٢ .

والتاريخي كثرة تجعل من دراسته ضرورة ادبية وجامعية لا مفر منهـــا .

٤ ــ عصر الحكم المباشر ١٢٤٧ ــ ١٢٨٩ هـ / ١٨٣١ ــ ١٨٧٢ م

وقد ابتدأ بانهيار حكم المماليك ونجاح السلطة العثمانية المركزية فـي استعادة سيطرتها على العراق . وكان اول ولاته على رضا اللاز الـــذي تغلب على داود باشا آخر المماليك واشهرهم ، بعد حصار قصير لبغـداد التي اجتاحها الفيضان ودهمها الطاعون خلال اشهر الحصار فاضطر داود باشا الى الاستسلام . وحكم العراق بعـــد علي رضا أحد عشـــر واليا على النحو الآتـــي :

١ ــ علي رضا اللاز ١٢٤٧ ــ ١٢٥٨ هـ / ١٨٣١ ــ ١٨٤٢ م

٢ ــ محمد نجيب باشا ١٢٥٨ ــ ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٢ ــ ١٨٤٨ م

٣ ــ عبدالكريم نادر باشا ١٢٦٥ ــ ١٢٦٧ هـ / ١٨٤٨ ــ ١٨٥٠ م

٤ ــ وجيهي باشا ١٢٦٧ / ١٨٥٠ م

٥ ــ محمد نامق باشا ١٢٦٧ ــ ١٢٦٨ هـ / ١٨٥٠ ــ ١٨٥١ م

٦ ــ كوزل لكلي محمد رشـــيد باشا ١٢٦٨ ــ ١٢٧٣ هـ / ١٨٥١ ــ ١٨٥٦ م

٧ ــ سردار اكرم عمر باشا ١٢٧٣ ــ ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٧ ــ ١٨٥٩ م

٨ ــ سر كاتبي مصطفى نورى باشا ١٢٧٦ ــ ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م

٩ ــ احمد توفيق باشا ١٢٧٧ ــ ١٢٧٨ هـ / ١٨٦٠ ــ ١٨٦١ م

١٠ ــ محمد نامق باشا (ثانية) ١٢٧٧ ــ ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ــ١٨٦٧ م

١١ ــ تقي الدين باشا ١٢٨٤ ــ ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٧ ــ ١٨٦٨ م

١٢ ــ مدحت باشا ١٢٨٤ ــ ١٢٨٩ هـ / ١٨٦٨ ــ ١٨٧٢ م[٢٦]

---

(٢٦) د. مصطفى جواد واحمد سوسة : دليل خارطة بغداد ٢٩٣ ــ ٢٩٤ وقد اعتمد على تاريخ العراق للعزاوي .

وقد استفحلت اكثر المساوىء والشرور التي عرف بها العهد العثماني في هذا العصر باستثناء عهد المصلح الشهير مدحت باشا آخر ولاته • ويبدون ان اسطنبول آثرت سياسة الضغط الشديد في العراق خشية ظهور وال آخر مثل داود يطمح كما طمح الى ان يلعب الدور الخطير الذي قام به محمد علي الكبير في مصر والشام والحجاز • وكانت حملة نابليون انفاشلة خلال العقد الاخير من القرن الثامن عشر ثم قيام حكم محمدعلي الكبير بعدها في مصر قد نبهت الاذهان وأيقظت مصر من سباتها العميق ووضعتها على اعتاب العصر الحديث وهذا مما لا يريد العثمانيون حدوثه في العراق • وقد حثهم على تشديد قبضتهم عليه رغبتهم في الضغط على الحركة الوهابية التي سيطرت على وسط الجزيرة وراحت تشن الهجمات على جنوب وغرب العراق ولعلهم ارادوا أن يضعوا الوهابيين بين نارين محمد علي وجيشه القوي من الغرب ، وولاة العراق وجيشهم وانصارهم من العشائر العراقيه من الشرق •

وقد نفذ ولاة العراق هذه السياسة بشدة ولهذا اشتهروا بالقسوة والعجرفة والابهة والغرور واستخدام افظع الوسائل للبطش بالعشائر المتمردة أو الثائرة عليهم والفتك بابنائها ومصادرة اموالها • ولكن سياسة القمع هذه لم تحسم الأمور لان العشائر التي لم تطق مجابهة الجيوش المنظمة لجأت الى حرب العصابات فازداد تردي الاحوال الاقتصادية وفقد الامن تماما في خارج المدن • الا ان الحياة الادبية التي كسبت بعض الحيوية في عصر المماليك استمرت في حيويتها ونشاطها واستفادت من تشجيع بعض الولاة الراغبين في كسب التأييد المحلي بتقريب بعض اهل الادب والعلم • و كان غزو الوهابيين للمدن القريبة منهم كالنجف وكربلاء والحلة وعنفهم الشديد وموجة المحافظة التي أثاروها في الفكر الديني قد حرّك الشعراء والادباء ورجال الدين منذ عصر المماليك فظهر في هذا العهد نتاج كثير يدور في هذه الدائرة • ولعل اهم العوامل في استمرار نشاط الادب

والادباء التطور الحديث الذي راح يعم العالم ويدفع اواخر موجاته الى العراق متمثلة في بعض مظاهر المدنية الحديثة كالسفن البخاريّة والترامواى والتلغراف والمكاتب الطبية والتعليمية القليلة • وكان لمدحت باشا آخر ولاة العصر الفضل في ادخال الكثير منها • ففي عهده عرف العراقيون الصحافة والطباعة ونظم البريد وبعض المؤسسات الصحية ومجموعة من النظم الادارية والمالية والتشريعات القانونية الحديثة • ولا شك في ان هذه العوامل وغيرها جعلت القرن التاسع عشر في العراق عصر يقظة ثقافية واجتماعية وادبية وان كانت مترددة ضعيفة • ولهذا وجدنا الدراسات المعاصرة ، على قلتها ، تتجه الى دراسة هذا القرن وادابه وتاريخه السياسي والاجتماعي لقربه منّا ، ولعلاقته بعصرنا الحاضر ، ولتوفر الكثير من نتاجه الشعري والنثري والتاريخي ، ولدوره المهم في تمهيد الجو للنهضة الادبية والفكرية والاجتماعية في عراق القرن العشرين • نقول (تمهيد الجو) لان هذا النتاج ، على الرغم من اصلاحات مدحت باشا التي لا يمكن اغفال اثرها ، لم يستطع تجاوز المستويات المنخفضة والاطر الضيقة او الصغيرة التي وقف عندها الفن الشعري والنثري طيلة العهد العثماني • فقد بقي يدور حول الموضوعات التقليدية في غير اصالة ، ولا اضافة او ابتكار ، وظل مقيدا في الاعم الاغلب بقيود الصنعة البديعية كما حددتها وفرعتها وجمّعتها (البديعيات) وشروحها منذ العصر المغولي • وهي التي احالت الفن في العهد العثماني الى زركشة وبهرجة لفظية رتيبة والاعيب خطية وسمعية متكررة • ولا نجد ضرورة في بسط احداث هذا العصر التاريخي القصير ، ولاسيما الادبية والثقافية لانها تندمج بالعصر الثاني لتؤلف عصرا اديبا واحدا سندرسه تفصيلا ، ولان الاساتذة الذين اشرنا الى مؤلفاتهم وبخاصة الاساتذة محمد مهدي البصير وابراهيم الوائلي ويوسف عزالدين وغيرهم قد اسهبوا في وصف العصر باعتباره عصرا واحدا يغطي القرن التاسع عشر • وخير الكلام ما قل ودل •

٥ ـ العصر العثماني الاخير ١٢٨٩ ـ ١٣٣٥ هـ / ١٨٧٢ ـ ١٩١٧ م

وقد حدد المؤرخون بدايته بابعاد مدحت باشا من العراق ، ونهايته بالاحتلال الانكليزي لبغداد سنة ١٩١٧ م / ١٣٣٥ هـ . ويتميَّز هذا العصر باستمرار تدهور وانحلال الدولة العثمانية ووصول الارتباك السياسي الى العاصمة استامبول نفسها وتوالي المؤامرات والدسائس والاحداث المثيرة فيها . ومن سماته المهمة ازدياد تدخل الدول الاوربية في شؤون الولايات العثمانية الغربية والشرقية . وكان العراق من اهم مسارح هذا التدخل والتغلغل السياسي والاقتصادي لوقوعه على طريق الهند . وكانت الدول الاوربية على الرغم من اصطراعها فيما بينها تسعى لتقويض الدولة العثمانية وتتحفز لاقتسام ممتلكاتها الواسعة واضطر العثمانيون الى التورط في الاحلاف والتكتلات الدولية للافادة من خلافات الدول الكبرى حتى انجروا الى الحرب العالمية الاولى التي انتهت فيما انتهت بالقضاء التام على الدولة العثمانية(٢٧) .

وقد تأثر العراق بهذه الاحداث الكبيرة ، وهي كثيرة تجد تفاصيلها في كتب التاريخ الحديث . ولكن هذا التأثر كان سطحيا في احوال العراق السياسية والادارية والاقتصادية ، الا انه كان عميقا بعض العمق في الحياة الادبية والثقافية نتيجة عوامل واسباب متعددة كظهور الحركة الدستورية في تركيا نفسها وسعي دعاتها الى اكتساب تأييد الولايات ، وتزايد الوعي القومي العربي ، وظهور عدد من الحركات والجمعيات السرية العربية وتنافس الدول الكبرى في التقرب الى العَرَب بعامة والعراقيين بخاصة لتحقيق مصالحهم واطماعهم متسترين وراء شعارات تحرير الشعوب ونشر الدمقراطية والدفاع المزعوم عن الحريات .. الخ ومن اهم دوافع تنشيط

---

(٢٧) انظر موجز ذلك في : تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ، القرن التاسع عشر .

الحياة الادبية والثقافية سرعة انتشار مظاهر الحضارة الحديثة وانـــدلاع الحرب العالمية التي ربطت حاضر العراق ومستقبله بالسياســـة الاوربية ـ (الغربية) وخططها وخدعها الظاهرة والخفية • وقد انتهى هذا العصر باحتلال الجيش الانجليزي والهندي لبغداد سنة ١٩١٧ وانتهى معه الحكم العثماني المديد الذي دام اربعـة قـرون من الزمان لعلها كانت اشد القرون ظلاما في تاريخ العـراق •

هذه هي العصور التاريخية العثمانية الخمسـة في نظـر معظم المؤرخين الا أن بعضهم يجعلها ثلاثة أعصر بدلا من خمسة وعلى النحو الآتي :

١ ـ العصر العثمـــاني الاول ٩٤١هـ ـ ١١٦٢هـ / ١٥٣٤ ـ ١٧٤٩ م

٢ ـ عصر المماليك ١١٦٢ ـ ١٢٤٧ هـ / ١٧٤٩ ـ ١٨٣١ م

٣ ـ العصر العثماني الاخير ١٢٤٧ ـ ١٣٣٥ هـ / ١٨٣١ ـ ١٩١٧ م

ان هذا التقسيم اكثر ملاءمة لدراسة الحياة الادبية والثقافية اما التقسيم الاول فاشد دقة وانطباقا على احوال العراق السياسية • والتقسيمان كلاهما لا يصلحان لتحديد مطلع العصر الحديث في العراق لان هذا العصر الأدبي لا يبدأ سنة ١٨٣١م / ١٢٤٧ هـ ، فآدابنا ظلت مشـدودة الى اذواق وموضوعات ومعايير وفنون عصور التخلف حتى اواسط بل اواخر القرن التاسع عشـر • ولا يصح ايضا اعتبار سقوط بغداد بيد الانكليز سنة ١٩١٧ م / ١٣٣٥ هـ بداية العصر الحديث في الادب العراقي لان بوادر النهضة الادبية ظهرت قبل هذا التاريخ بسنين عديدة • ويمكن القول ان التقسيم الاول اقرب الى بداية الادب الحديث من الثانى لان اغلب مؤرخي الادب يجعلون من ولاية مدحت باشا (١٨٦٨ ـ ١٨٧٢ م) نقطة تحول ثقافي وسياسي واجتمـاعي في حيـاة العراق الثقافية •

العصور الادبية الثلاثة

لسنا بحاجة الى البحث عن الادلة لنثبت ان تقسيم العهد العثماني الى ثلاثة اعصر كما مر انسب وافضل لدراسة الحياة الثقافية والادبية للعصرين الادبيين العثمانيين الاول والثاني على الاخص ، لتشابه احوالهما واحداثهما وخصائصهما فنتاجهما الادبي والثقافي يتشابه من حيث الاغراض والموضوعات والاذواق واساليب التعبير والانشاء والتفكير ، لقد انشدّ هذا النتاج الى فنون البديع وسائر انواع المحسنات اللفظية والابجدية المعقدة . وكانت هذه الموجة قد شرعت تهيمن على الشعر والنثر منذ العصر العباسي الاخير ، حتى اذا سقطت بغداد وجاء العصر المغولي تبلورت او تجمدت وصارت كالوصفات الجامدة . ثم تناولها الشعر التعليمي عندما ظهرت (بديعية) صفي الدين الحلي واعقبتها بديعيات ابن جابر وعزالدين الموصلي وابن حجة الحموي وغيرهم التي اتخذت شكل المدائح النبوية لتوطيد نفوذ الاتجاه البديعي وضمان انتشاره وسيطرته على الاساليب الادبية . وكانت المدائح النبوية قد ظهرت في العصر العباسي الاخير بصورة القصيدة الطويلة قبل ظهور مدائح البوصيرى صاحب (نهج البردة) الشهير في مصر . وكان الشاعر البغدادي الاعمى الشهيد ابو زكريا الصرصري الذي قاتل سفاحي هولاكو بعصاه واستشهد ضاربا مثلا فذا للبطولة والمقاومة والفداء[٢٨] كان هذا الشاعر قد نظم المقطوعات والقصائد الطويلة في مدح الرسول (ص) قبل البوصيري بسنوات عديدة واكبر الظن انه لم يكن رائد هذا الغرض او الفن المدحي لان ظروف الحياة السياسية والاجتماعية والنفسية وما كابده المجتمع من فواجع وصدمات وهموم لاستمرار تردي الاحوال في العصر العباسي الاخير ، كان هذا وغيره من الدوافع والاسباب التي ترجح ظهور المدائح النبوية الطويلة في العراق قبل ظهورها في مصر عند البوصيري ، فالاتجاه

---

(٢٨) انظر : عبدالكريم توفيق العبود : الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة الى سقوط بغداد ٢٤٩ ـ ٢٥٦ .

الديني كان قويا في الشعر وقد توسع وسار في اتجاهات متعددة منذ القرن الرابع الهجري . وقد غفل دارسو المدائح النبوية عن هذه الحقيقة[٢٩] ولم ينتبهوا اليها لضياع اشعار ودواوين شعراء القرون العباسية المتأخرة التي لم يبق منها الا القليل كديوان الصرصري[٣٠] .

واذا تركنا جانبا الاغراض والفنون والاساليب وامعنا النظر في مواقف الادب والادباء من حيث علاقات تناجهم بالاحداث والاحوال والظروف والمساوىء ولاسيما مساوىء الحكم الاعجمي لاحظنا أن اغلبهم في معزل عن هذا كله وأن النتاج ليزداد بعدا عن مشاكل العصر كلما تقدمنا في العصر العثماني ، وطبيعي ان لهذا اسبابا ودوافع مختلفة ليس هنا موضع بحثها وتحليلها .

وقد فضل مؤرخ العهد العثماني وآدابه في العراق ، المرحوم الاستاذ عباس العزاوي منهج العصور العثمانية الثلاثة مؤكدا ان هذا التقسيم افضل لدراسة التاريخ العثماني في العراق ، ومع ان اكثر المؤرخين من المستشرقين والاتراك لا يرون هذا الرأي ، الا ان مؤرخ الادب في العراق لا يسعه الا توكيد وجاهة وصحة التقسيم الثلاثي الذي تبناه العزاوي ، ومن حقه ان نسجل له هذا الفضل على تاريخ الادب في هذه الفترة على الرغم من مخالفتنا اياه في بعض الاراء والتفاصيل نذكر منها : مدة تحديده العصر العثماني الاخير في الادب حتى سقوط بغداد سنة ١٩١٧ م / ١٣٣٥ هـ بحيث يتشابك هذا العصر ببداية العصر الحديث بصورة تؤدي الى الارتباك والحيرة ، وقد اشرنا الى هذا قبل قليل . ولعل من المفيد اعادة النظر في حدود العصر الثالث وتقسيمه بدوره الى عصرين أدبيين عثماني أخير وحديث .

---

(٢٩) المرجع السابق وانظر : المدائح النبوية لزكي مبارك وعصر سلاطين المماليك جـ ٦ و٧ لمحمود رزق سليم والمراجع التي مر ذكرها عن الادب في العصر المملوكي والعصر العثماني .

(٣٠) ديوان الصرصري . وعن مخطوطاته واماكن وجودها انظر : العزاوي تاريخ الادب في العراق ٣٠٧/١ ومنه نسخ في المجمع العلمي وخزانة المتحف العراقي .

اما العصر الادبي العثماني الاول فقد شهد احداثا سياسية خطيرة غيرت الخارطة السياسية في الشرق العربي وكان لها آثار عميقة في تاريخ الادب العربي والاسلامي في القرون المتأخرة . واهم تلك الاحداث الاحتلال العثماني لمصر والشام ثم العراق ولاسيما عاصمته بغداد . لان هذه المدينة ، على الرغم من النكبات والفواجع الهائلة التي توالت عليها قبل وبعد فقدانها مركز الصدارة السياسية والحضارية ، بقيت محتفظة بسمعتها وشهرتها ومكانتها العلمية التي خلدت احترامها في العالم الاسلامي . ويبدو أن الاحتلال العثماني قد اوجد ظاهرة جديدة لم يعهدها تاريخ الادب العربي من قبل ، وهي ظهور جيل او اجيال من الشعراء والادباء ينظمون ويكتبون باللغة التركية الاذرية القديمة ، اضافة الى اللغة الفارسية التي كانت فاشية منذ الاحتلال الصفوي للعراق وبغداد . وهكذا وجدنا الى جانب الشعر العربي والنثر العربي شعرا تركيا مبكرا عراقي النتاج ، عثماني النزعة والاتجاه ، وصار لعدد من الشعراء العراقيين منزلة رفيعة وشهرة واسعة في تاريخ الاداب الاسلامية الثلاثة مثل فضولي البغدادي ، وابنه فضلي ، وعهدي وروحي وشمسي وحكيم زادة وآخرين سيأتي ذكرهم عند دراسة العصر الاول بالتفصيل . وثمة ظواهر اخرى يبدو بعضها بعيدا عن منطق الاوضاع السياسية العامة ، ولكنها ـ في الحقيقة ـ ذات صلة وثيقة بالاحداث السياسية المحلية ، ومن هذه الظواهر الانتعاش أو النشاط الادبي خلال مدة حكم آل افراسياب شبه المستقل في البصرة في العصر العثماني الاول ، والنشاط الادبي المتزايد ولاسيما الشعري في الحلة والنجف وبغداد لاسباب دينية وقومية في فترات مختلفة ، والحركة الادبية والثقافية التي ازدهرت في الموصل طيلة حكم الجليليين الذي بدأ في اواخره . ولا نعني بالازدهار هنا الا ازدياد النشاط وكثرة الشعر والشعراء وتوسع حركة التأليف بالقياس الى الركود العام الذي غلب على العهد العثماني . فالمعروف ان الادب العربي في هذا العهد ظل منجرفا بموجات التقليد والمحاكاة واللجاجة في متابعة القدماء في غير ابداع

وتجديد . ولا أهميّة في نظرنا لظهور عـــدد من الشـــخصيات اللامعة أو الاغراض المستحدثة التي انشغلت بزركشة القشر الخارجي للغة الشـعر بالالاعيب الابجدية والخطية والهندسية بدلا من الاهتمام بمعنى الشعر وروحه مع العلم ان هذه الزركشة ظهرت قبل العصر العثماني ، وفي كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني باب يعرض نماذج من هذه الزركشة الشعرية الابجدية والهندسية وهو أمر يثبت ان بداياتهـــا كانت في القرن الثالـث الهجري[٣١] . ولعلهـا حين ظهرت لم تلفت نظر النقـاد والمؤرخين في عصر ازدهار الشعر العربي فكانت وكأنها لم تكن ! صحيح ان قلة ضئيلة لم تخـل من ظلال الابداع او الابتكار الا ان هذه القلة كانت طافية على سيول التقليد والعقم والصنعة البديعية واللفظية والخطية المعقدة فضاعت في التيـار .

ومادمنا في صدد الحديث عن العصور التاريخية والادبية فيحســن أن تؤكد ان العهد العثماني قد اتسم بخصائص ومعالم اجمع المؤرخون والرحالة على انها اسوء ما ابتلى به العراق الذي كان له مركز الصدارة والحضـــارة قبل الاحتلال العثماني . صحيح ان العثمانيين غير مسؤولين عـــن الخراب الشامل الذي احدثه الاعصار الهمجي المغولي ايام احتلال بغداد وتدميرهـــا سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ثم احتلالها واستباحتها وابادة اكثر ســـكانها كرتين أخريين من قبل السفاح تيمورلنك (عام ٧٩٥هـ ثم عام ٨٠٣ هـ) وأن اخلاف المغول من الايلخانيين وقبائل التركمان قـد جلبوا كـوارث عـديدة اخـــرى اسهمت في التخريب ولكن المهم ان تعاقب الدول الاعجمية خـــلال القرون الثلاثة التي انتهت بالاحتلال الصفوي ثم العثماني سنة ٩٤١ ، ادى الى استمرار

---

(٣١) كتاب الزهرة ـ النصف الثاني ـ الباب السابع والثمانون ٢١١ ـ ٢١٦ لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني تحقيق د. ابراهيم السامرائي و د . نوري القيسي (ط بغداد ١٩٧٥) وانظر هامش المحققين ص ٣١١ . وقد استغربا من وجود هذه الفنون الشـكلية في القرن الثالث وحثـا المختصين على تفسيرها . ولا استبعد ظهور فن كتابة الشعر بأشكال القصور وتطور فن العمارة والتزيين المعماري (الدكور) وتطور فـــن الفسيفساء ووصف البحتري تصور المتوكل شاهد على ذلك .

وتوسع الكارثة الحضارية الكبرى . صحيح ايضا أن العثمانيين لم يجلبوا كل الشرور والمساوىء التي اقترنت بحكمهم ، فبعضها كالخراب الشامل الذي التهم بغداد ومدن العراق ، وقضى على نظام الري ، وهجّر العلماء والادباء ، واباد الملايين من عرب واكراد العراق حدث وتكرر حدوثه خلال العهد المغولي ، وقل مثل هذا عن استفحال وازدياد الفتن المذهبية والتمزق الديني والقومي ، واضمحلال القوة العربية .. الخ ولكن العثمانيين الذين انفردوا بحكم العراق والعالم العربي نحو أربعة قرون كان بامكانهم القيام بشيء من الاصلاح لولا ان سياستهم فضلت ابقاء الحال على ما كانت عليه بل زادتها سوءا . ولم يجد العراق نفعا تعيين بعض الولاة المصلحين او وقوع بعض الاحداث الحسنة ، لان الفرص السعيدة من هذا القبيل كانت نادرة جدا . وهكذا بقى الطابع العام للحكم العثماني كما هو ، اهمال واستغلال وتسيب وولاة وحكام وقادة جهال غلاظ الاكباد همهم اشباع الشهوات واكتناز الاموال ، عشرات تسوقهم اسطنبول واحدا اثر آخر بسرعة فائقة وفق سياسة مرسومة ، فلا يلبث الوالي عاما او بعض عام حتى يعزل او ينقل او يقتل ليأتي وال آخر . وكثرت المكائد والدسائس والمعارك بين الولاة انفسهم ، او بينهم وبين الجند الانكشاري والسباهي ، او بين هؤلاء جميعا وبين العشائر الثائرة والاهالي المظلومين . واشتد الجور والعسف والاضطهاد لجمع الضرائب الثقيلة العديدة وابتزاز الرشاوى بلا رادع من شرع او ضمير . وانتشرت الاوبئة والامراض الفتاكة تزهق ارواح عشرات الالاف كل عام تقريبا او تصمهم بالعاهات .. فطاعون اثر طاعون ، وهيضة بعد هيضة .. وجدري وزحار وانواع لا تحصى من الحميات والدمامل والبثور ، وحدث ولاحرج عن الامراض المتوطنة كما يسميها الاطباء كالبجل والقرع والبلهارزيا والملاريا وحبة بغداد وادواء الخبل والجنون .. الخ وفيضانات بل طوفانات هادرة مدمرة تجتاح البلاد كل عام تقريبا فتكتسح الارياف والقرى والمدن وتقضي على الزرع والضرع والعمران ، وسياسة (تتريك) فرضت اللغة التركية على الدواوين والمكاتب والاعمال حتى امست لغة الموظفين والمثقفين وسائر

المتعلمين بما فيهم شيوخ وطلاب المدارس الدينية والشعراء والادباء والعلماء لاضطرار هؤلاء الى تعلم لغة الحكام على الرغم من تمسكهم بالعربية ، وللضرورات احكام ...

ان بحثا ادبيا كهذا لا يحتمل زيادة التفصيل ، فقد اسهب المؤرخون في وصف مساوىء الحكم العثماني الطويل الذي عم الاقطار العربية ، ولكن غاب عنهم ان الحالة في العراق كانت اشد سوءا مما كانت عليه في مصر والشام لاسباب يطول شرحها . ولعل ما اوجزناه يمهد السبيل لدراسة معالم الحياة الادبية في بلادنا خلال تلك القرون العثمانية الاربعة ، ويسلط الاضواء على الدوافع والعوامل والظروف التي المت بادب هذا العصر وجعلته اكثر تأخرا وتخلفا من العصور السابقة حتى اعرض الباحثون عن دراسته دراسة تفصيلية لاسباب كثيرة رأيت ان لا اتناولها الا بعد ان نكون لانفسنا تصورا واضحا لعصور العهد العثماني في العراق واحداثها التاريخية والادبية ومواقعها المكانية والزمانية والنوعية بين عصور الادب العربي السابقة واللاحقة .

قلة الدراسات في أدب العهد العثماني في العراق

قد يقول قائل : ان العودة الى الشكوى من قلة الدراسات في ادب الاعصر العثمانية في العراق وفي الاقطار العربية الاخرى لا تخلو من مبالغة ، فنحن في سنة ١٩٧٩م ، وقد ظهرت خلال هذا القرن ابحاث ودراسات عربية واجنبية عديدة (ذكرها او سيأتي في هوامش هذا البحث) ، هذا فضلا عن نشر عدد من كتب التاريخ والتراجم التي تخص احداث واعيان القرون العثمانية الاربعة . ولا انكر ان هذا الاعتراض وجيه الى حد ما ، فبين ايدينا الآن عدد لا يستهان به من الدراسات الحديثة ، ومجموعة من المصادر القديمة ، تجعلنا اكثر معرفة باداب العرب في العصر العثماني . غير ان هذه الدراسات ما زالت قليلة بالقياس الى عمر العهد المديد وسعة الخارطة الجغرافية والاجتماعية التي تبعثر فيها . فحاجتنا ما زالت قائمة ، بل شديدة ، الى دراسات اكاديمية

وجماهيرية تزيح الستار عن خفايا هذه الحقبة ذات الاثار الخطيرة في حياتنا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية المعاصرة ، وفي ادابنا العربية الفصيحة والشعبية الحديثة • ويبدو ان المستشرقين قد ادركوا هذه الحقيقة التي كدنا نغفل عنها عفوا او قصدا ، لانهم عرفوا ، بحكم مصالح دولهم ، ان دراسة العصور المتأخرة تمهد السبيل لفهم الحاضر العربي والاسلامي وتفتح لهم المداخل للتغلغل السياسي والثقافي والاجتماعي في بنية المجتمع العربي وللنفوذ الى صميم حياته الادبية والفكرية •

اما نحن فلم نفهم ، ولم نع هذا ! فقد اهملنا العصور المتأخرة متأثرين بما شاع عن تخلفها وتدهورها فاسهمنا في ابقاء هذه الثغرة الواسعة في دراساتنا الحديثة ، فاذا بتاريخ الادب العربي في العهد العثماني ، ولا سيما في العراق ، يمسى حقبة يكتنفها الغموض ويسودها تعتيم كثيف • فمعارف اغلب مثقفينا وطلابنا تقف عند اواخر العصر العباسى • ومنهم من تقف معارفهم عند القرن الخامس الهجري حتى اذا انتهى العصر العباسي وسقطت بغداد سنة ٦٥٦ هـ ضاق علمنا بما جرى للادب والفكر بعد ذلك ، وطفرنا طفرة عريضة سجلت رقما قياسيا في طفر القرون ! طفرنا الى العصر الحديث • ولهذا التقصير اسباب تجادل فيها المتجادلون من اصحاب الدراسات العثمانية[٣٢] • لقد وقع العهد العثماني بين عهدين زاهرين فرضا احترامهما على الباحثين هما العصر العباسي والعصر الحديث فانزوى بينهما مشوها بعاهات التخلف ، مفتقرا الى عناصر القوة والاصالة عاجزا عن مقارنة القديم والتوصل الى جديد ، مثقلا بما نزل بالحياة العربية من آفات طمست اكثر معالمها الفكرية والادبية وطمرت الكثير مما يجب ان يكشف ، وان يدرس و يُفسَّر لفهم حاضرنا ، واكمال حلقات تاريخنا وتشخيص العلل التي أعاقت نهضتنا وتقدمنا • فكان أن اطلقت على العهد وادابه اوصاف نابزة كالفترة المظلمة ،

---

(٣٢) شكري فيصل في كتاب : الادب العربي في آثار الدارسين ٢٩١ (بيروت ١٩٦١) •

وعصر الانحطاط ، وعصر الانحدار ... الخ . ومع ان بعض الباحثين تحفظ فاستحدث مصطلح (الدول المتتابعة)[٣٣] وبعضهم آثر الاحتفاظ باسم العصر العثماني عطفا على تسمية العصور السابقة ، الا ان تعدد النعوت اللامزة وسع ظاهرة الاعراض عن دراسته دراسة مفصلة . وقد أثار هذا حنق بعض الذين تقدموا لانجاز هذا الواجب العلمي فحملوا مبتدعي الاوصاف المذكورة تبعة اهمال العهد العثماني ومسؤولية الجور في الحكم عليه وعلى تراثه الادبي والفكري . وموقف هؤلاء لا يخلو من اندفاع ، لان عوامل ودوافع كثيرة تظافرت على احداث هذه الثغرة . فالاستاذ سيد كيلانى يحمل جورجي زيدان هذه المسؤولية لقوله عن العصر العثماني : « فسدت ملكة اللسان ، وجمدت القرائح ، واصاب الشعر ما اصاب سائر الاداب العربية في هذا العصر من الضعف والانحطاط ، لما استولى من الجمود على القرائح ، وتوالى على الامة من الذل في تلك الفترة المظلمة ، واصبح الكاتب او الشاعر انما يهمه تنميق العبارة بالجناس والتورية والسجع ... الخ »[٣٤] ثم يضيف كيلاني على هذا الوصف قائلا : « فمن هذا نرى ان جورجي زيدان حكم على الادب العربي كله من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، ومن شمال العراق الى جنوب اليمن بأنه كان ادبا منحطا متكلفا لا اثر للحياة فيه . وتابع جورجي زيدان في هذا الحكم كل من جاء بعده من الكتاب الذين تعرضوا لهذا العصر . وقد صورت الكتب المدرسية العصر العثماني في صورة بشعة . فلا عجب ان سرى اعتقاد راسخ في الاذهان ، مضمونه ان العصر العثماني لا يستحق الدرس والبحث ، وانه خلو مما يصح ان يطلق عليه اسم الادب ، ولم ينجب من الشعراء من يستحق اسم الشاعر ، ولا من الكتاب من تجوز نسبته الى الكتابة . وترتب على هذا الحكم حكم آخر مضحك وقع الناس فيه ... الخ » وعقب كيلاني قائلا انه لم يصدق هذه الاحكام ، ولم يأخذها

---

(٣٣) انظر : عمر موسى الباشا وكتابه : ادب الدول المتتابعة .

(٣٤) زيدان تاريخ آداب العربية ٢٩٣/٤ (الطبعة الجديدة باشراف شوقي ضيف) .

قضية مسلما بها لا تقبل الجدل والمناقشة ، بل راح يقرأ ويبحث ويستقصي بامعان ، فراعه ما اتضح له من فساد الاحكام التي اصدرها جورجي زيدان ومن تابعه • ثم يصف سيد كيلاني فصول كتابه ويذكر كيف تبين له بالادلة القاطعة مبلغ الخطأ الفاحش الذي علق بالاذهان عن اساليب الشعر والنثر في تلك الفترة • ثم يخلص الى القول : « وغني عن الاشارة ان الادب المصري في العصر العثماني لم يكن منحطّا ولا ميتا كما قالوا • ولم يكن هم الشعراء والكتاب الجري وراء المحسنات اللفظية كما زعموا • بل كان ادبا حيا • له اهداف يسعى اليها ، واغراض يتجه نحوها ••• وان الشعر الكثير الذي قيل في وصف الحدائق والبساتين والبرك والدواليب ، ونهر النيل والخليج ••• والقصور والطيور ، لم يكن متكلفا مصنوعا ، بل هو شعر له طابع اصيل في الفن الشعري ، ينبض بالحيوية ، ويزخر بالعواطف الصادقة ، والاحاسيس الناطقة ، والمشاعر المتدفقة ••• الخ•• الخ وقد كرر كيلاني هذه المقولة المثقلة بالتعميم وأكد هذا الرأي في مواضع عديدة من فصول كتابه[٣٥] • وينضم الى صف الكيلاني باحث آخر هو الدكتور بكري شيخ امين الذي قال في مقدمة كتابه (مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني) انه يحاول ان ينظر نظرة جديدة في شعر هذه الحقبة من تاريخ ادبنا العربي ليقومه تقويما جديدا يعتمد الدراسة الموضوعية ، والرصانة العلمية ، والاجتهاد الشخصي والابتعاد عن كل تأثر سابق او نظرة سريعة ، او هوى جارف ثم يقول : ويخيل الينا أنه ما من عصر من عصورنا الادبية اصابه من الظلم في الاحكام ، والاهمال في الدراسات ، ما اصاب هذا العصر وناله • والاكثر من هذا اعتقادنا الجازم ان هناك عملية خفية تهدف الى صرف الباحثين عن دراسة هذه الحقبة ، والاكتفاء بحكم سريع ظالم عليها ، ولسنا ندري لذلك سببا اللهم الا ان يكون هذا العصر هو الذي قاوم جحافل الغرب •• ودفع الوثنية التي

---

(٣٥) محمد سيد كيلاني : الادب المصري في ظل الحكم العثماني : المقدمة ٣–٧ الطبعة الاولى القاهرة ١٩٦٥ .

جاءت على سيوف التتار ورماحهم ، وملأ المكتبة العربية التي خوت بمصيبة بغداد وسواها ، بالتراث العربي الاسلامي المشرقين ، وأعاد الى النفس العربية عزتها وثقتها ، ويكفي سبب واحد من هذه ليشحن قلوب الشعوبيين والاعداء المبغضين ، والمارقين ، والمنحلين حقدا ضد العصر وآله وكل ما كان فيه .(٣٦)

ثم يتأسف شيخ امين بعد ذلك على تسمية العصر بـ « عصر الانحطاط » استنادا الى اضطراب الاوضاع السياسية والاجتماعية وتهافت الحياة الفكرية لان الازدهار السياسي والادبي لا يطردان دائما ثم يشير الى انه اختار تسمية العصر بعصر المماليك والعثمانيين اسوة بتسمية الادب العباسي والاموي والاسلامي وانسجاما مع هذا المبدأ ثم يؤكد رفضه لكلمة « الانحطاط » ويثني على الدكتور عمر موسى الباشا لانه سمى كتابه عن ادب هذا العهد بـ « ادب الدول المتتابعة » . ولو اكتفى شيخ امين بمشكلة التسمية وبتوكيد الحاجة الى دراسة العصر العثماني وتجنب الحماس في مقدمته لكان ذلك افضل لاسلوبه وانسب لبحثه الجيد فقد افترض وجود سياسة خفية تريد ان تظلم العهد العثماني وتبعد الباحثين عنه وتشحن قلوب الشعوبيين والمارقين والمبغضين والمنحلين .. الخ .. الخ هذا التصور لا وجه له ولا دليل عليه فضلا عن ان العثمانيين قد اوجدوا شعوبية جديدة عندما تبنوا سياسة التتريك وفرضوا لغتهم على السياسة والادارة وحتى الادب ، وعملوا على حصر اللغة العربية في الدوائر الدينية وما يتصل بها من مدارس وجوامع وربط وتكايا . وليس هناك ابدا ما يدل على انهم اعادوا الى النفس العربية عزتها وثقتها والعكس هو الصحيح . ومع ان الدكتور شيخ امين قد اجاد في عرض اغراض الشعر التقليدية والمستحدثة السائدة في ادب العهد العثماني كالتاريخ الشعري بحساب الجمل والالغاز والاحاجي والتشجير وذوات القوافي والطرد والعكس ومحبوك الطرفين والشعر المكتوب باشكال هندسية كالدوائر

---

(٣٦) د . بكري شيخ امين : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني : المقدمة ٥ـ٧ بيروت ١٩٧٢ .

والمثلثات ... الخ الا ان هذه المستحدثات لم تضف جديدا الى روح الفن الشعري فعامت على السطح وانحصرت في المخطوطات او على الجـــدران وافتقرت الى قوة الانتشار الجماهيري والخلود الفني ونود ان نؤكد ان اغلب هذه « المستحدثات » ظهرت قبل العهد العثماني وهو امر لم يغب عن الباحثين المعاصرين منذ اوائل هذا القرن • فقد اشار اليها المرحوم الرافعي[٣٧] ولم يغفلها الباحثون الذين لم يدفعهم اهتمامهم بالعصر العثماني الى التحمس لـه ورفعه الى مستوى أعلى • ثم ان ظاهرة تخلف الادب العربي واضحة منذ سقوط بغداد بل قبلها ، وان ما يقال عن العصر العثماني ينطبق على العصر المغولي الذي سبقه • بل ان ادب العصر المغولي كان اقرب الى مستوى العصر العباســـي المتأخر لانه جاء بعده ولاسباب اخرى ذكر منها المرحوم الدكتور مصطفى جواد سبعة اسباب وشرح كلا منها شرحا موجزا[٣٨] • ان هذه الحقيقة وهي اتجاه الادب العربي الى الضعف، والتخلف عن النتاج الادبي السابق أكدها ايضا شكري فيصل عندما اعترض على تسمية زمان ما بعد سقوط بغداد بعصر الانحطاط والانحدار لاسباب بسطها ، كطول الفترة ، وكثرة وتنوع نتاجهـــا الادبي والفكري ، وسعة حيزها المكاني لشمولها الوطن العربي كله ، ولبقاء الكثير من المؤلفات مخطوطا أو مفقودا ، ولخطأ الركون الى التعميم في الاحكام في مثل هذه الحالة ولان جهود الباحثين اتجهت في الغالب الى العصور السابقـة والعصر الحديث ، ولرهبة البحث العلمي الذي يخص عصرا تكتنفه المشـاكل المذكورة • ولم ينجر شكري فيصل الى خطأ وضع ادب العصـر المغـــولي والعثماني على مستوى العصور السابقة او رفعه الى مكانة أعلى بل اكد تخلف نتاجاته الادبية والفكرية بوجه عام وحاول ان يشرح اسبابها من وجهة ادبيـة ونقدية • وتاريخية[٣٩] •

---

(٣٧) الرافعي : تاريخ آداب العرب ٣/ ٣٧٠-٤٤٧ (ط الثانية ١٩٤٠) .

(٣٨) د . مصطفى جواد : الادب العراقي في العصر المغولي مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣ الجزء ٢ سنة ١٩٥٥ .

(٣٩) د . شكري فيصل : الادب العربي من سقوط بغداد حتى اوائل النهضة في كتاب : الادب العربي في آثار الدارسين ص ٢٩١/بيروت ١٩٦١ .

والحق ان رفض اي مصطلح او تسمية تاريخية تدل على الذم وتتصف بالتعميم وتثير الجدل الطويل او الخلاف العقيم شرط منهجي لا مفر منه . أما ان نجعل من هذه المسألة الصغيرة قضية كبيرة فكأننا نثير عاصفة في فنجان فالباحثون المنصفون الذين لا يصح اتهامهم بالتأثر لسياسة خفية مزعومة او بالعصبية او الشعوبية يجمعون على ان الادب العربي منذ سقوط بغداد لا يرقى الى مستوى العصور السابقة ولا العصر الحديث ، وانه لم يضف فنونا وانواعا ذات قيمة فنية كبيرة ولم يوفق الى تطوير أو تغيير خطير ولم ينجب شخصيات ادبية تقترب من عبقريات بشار وابي نواس وابي تمام وابن الرومي والمتنبي وابي العلاء المعري ، او الجاحظ ، او ابي حيان .. الخ اعني شخصيات يخلد ادبها وتظل ماثلة في نفوس الادباء والناس على مر الاجيال. ومنذ نصف قرن حاول بعض مؤرخي الادب والفكر تشخيص هذه الظاهرة اعني ظاهرة تخلف الادب في العصر المغولي ثم العثماني والكشف عن اسبابها .

ومن هؤلاء شوقي ضيف الذي قال وهو يتحدث عن الشعر في مصر والشعر العربي بوجه عام : « ويدخل العصر العثماني وتدخل مصر معه في ظلام قاتم فقد تحولت من مملكة مستقلة الى ولاية تابعة للدولة العثمانية ، وليت الامر وقف عند ذلك ، فقد سلبها سليم فاتحها خير ما فيها من ثروة علمية او فنية ، اذ اخذ معه كثيرا من التحف والكتب ، كما اخذ معه كثيرا من الادباء والعلماء والمهندسين واصحاب الصناعات الفنية ... وقد أعوز مصر في هذا العصر العثماني الولاة والحكام الذين يعنون بالحركة العلمية والادبية ، فانطفأت المصابيح التي كانت مشتعلة في العصور السابقة . ولا نستطيع ان نقول ان الشعر انعدم في العصر العثماني ، فقد كان موجودا ، ولكنه وجود خير من العدم ، إذ اقتصر الامر على جماعة يقرؤون بعض القصائد المسبوقة وخاصة التي كانت قريبة من عصورهم ، ثم يعارضونها او يخمسونها او يربعونها ، فيأتون بنماذج لا روح فيها ولا جمال ، انما هي تقليد ركيك ضعيف . ومن أين ياتيها الروح او يأتيها الجمال ، وقد كانت

تصدر عن نفوس مجدبة ، لا تستطيع ان تصنع شيئا الا ان تجتر القديم هذا الاجترار الذي يحيله الى مربعات ومخمسات في اساليب واهية ضعيفة • وليس من شك في ان الشعراء كانوا يحتالون على الوان البديع يملؤون بها شعرهم ، ولكنا نحس ان هذه الالوان اصبحت باهتة في ايديهم ، فقد فقدت مقدرتها القديمة على التلوين والتعبير • ولعل اهم شاعر ظهر في هذا العصر هو الشهاب الخفاجي ، وقد ترجم لنفسه في آخر كتابه بريحانة الالباء ، وترجم له المحبي[٤٠] وحكى شيئا من اشعاره ، وهي تدل على ما نقوله من ضعف الروح الادبية في هذا العصر وما اصاب الحياة الفنية من عقم وجمود ، وكذلك الشأن في عبدالرحيم العباسي صاحب كتاب (معاهد التنصيص) فقد ترجم له الشهاب الخفاجي[٤١] وشعره غث ، وهو يدل بدوره على اجداب الحياة الفنية في هذا العصر ، فقد اسف الشعر ولم يعد من الممكن ان يعود الى الارتفاع والتحليق في اجواء الفن العليا ، الا اذا قدمت اليه مجهودات شاقة ، وكأنما جفت في هذا العصر كل الينابيع الممكنة التي كانت تمد الشعر بأسباب الحياة ، فشاعت فيه الالفاظ العامية والتركية ، ويحس الانسان كأنما اصيبت الاداة الفنية التي رأيناها في العصور السابقة بعطل شديد فعمّ الظلام وعمت الكآبة ، ولم يعد هناك الا جو خانق يشمل كل شيء ، وكأني بالمصريين اصبحوا لا يستطيعون التنفس ، فضلا عن ان يحيوا حياة فنية فيها فن وشعور وفيها حياة وجمال[٤٢] ويصف احمد امين حالة الادب العربي بما يشبه اوصاف ضيف ، بل يذهب الى ابعد من ذلك فيقول: « يكاد يكون العلم والادب والفن قد انتهى في العالم العربي بانتهاء القرن الخامس ، وربما وجد شيء في القرن السادس الهجري من الابتكار والتجديد • اما بعد ذلك ، من ابتداء القرن السابع الى النهضة الحديثة فيكاد يكون ترديدا لما فات ، او تفريقا لمجتمع ، الا في القليل النادر » ويتساءل ان كانت

---

(٤٠) المحبي / خلاصة الاثر ٣٣١/١ هامش ضيف .

(٤١) الخفاجي / ريحانة الالباء ٢٤٨ هامش ضيف .

(٤٢) ضيف / الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

الولادة قـــد عقمت عن ولادة المبتكـر المحـــدد ، ثم ينفي هذا ويرجع الامر الى التربية والظروف ويذكر لذلك خمسة اسباب هي :

١ ـ غلبة العنصر الفارسي والتركي وتعصّبهم لثقافاتهم واتجـاههم الى الكتابة بلغتهم تعصبا لها بعد ان كانوا يكتبون باللغة العربية ولاسباب كثيرة اهمها عجمة الحكام والسلاطين والولاة . ويرى ان ازدهـــار العلم والادب في العصر العباسي بعد تغلب البويهيين الفرس والسلاجقة الترك كان بقـوة الدفع الطبيعي لان العلم والادب لا يموتان سريعا ولكن يحتضران في زمن طويل ، وهو الذي يفسر استمرار النهضة في القرنين الخامس والسادس على رأيـــه

٢ ـ انحسار نفوذ المعتزلة الذين يرجحون سلطان العقل ، واستفحـال نفوذ اهل النقل والمنهج النقلي الذي يعد لرواية الخلف عن السلف ولا يعـد للتجديد والابتكار .

٣ ـ هجوم التتر وتخريبهم ... الخ

٤ ـ توسع وانتشار العصبيات المذهبية والطائفية

٥ ـ هبوط معنويات العلماء وفتور طموحهم وانتماؤهم الى حالة نفسية منهارة ادت ـ حسب رأيه ـ الى اقفال باب الاجتهاد[٤٣] .

كان هذا هو الرأي السائد في اوائل واواسط هذا القرن ، ولم يجد العديد من الباحثين في تاريخ الادب العربي من عرب او مستشرقين ما يدعو الى نفيه او انكاره على الرغم من توفر عدد غير قليل من المصادر المطبوعة والمخطوطة بعد ذلك .

---

(٤٣) احمد امين : ظهر الاسلام ٤/١٩١ـ١٩٥ (الطبعة الثالثة) .

والبحث يطول لو استشهدنا بأقوالهم لانها لا تخرج عما ذكرناه وقلما تتعدى الاسباب التي المحنا اليها • ومثل هذه الاحكام ليست من قبيل التعميم الذي يتخطى الادلة التاريخية ويبتعد عن الموضوعية ، لانها احكام عريضة تقوم على استعراض ادب هذه العصور المتأخرة ومستوياتها الفنية ومنازل الشخصيات الادبية والعلمية ، ومدى ما حققوه من تجديد واضافة ثم مقارنة ذلك بما وصلت اليه عصور الازدهار السابقة وعصر النهضة الحديث • وطبيعي ان الحكم العام على عصر من العصور الادبية لا ينكر وجود حالات خاصة او ظواهر ادبية او فنية يمكن ان تستثنى لاتصافها بشيء من الاصالة او التجديد او محاولة الانفلات من الموجة السائدة • كما لا ينكر اختلاف مراحل العصر عن بعضها فالادب في العصر العثماني الاول والثاني أدنى مستوى من ادب العصر العثماني الاخير لقرب هذا من النهضة الحديثة • وربما كان الادب في العصر المغولي بين سقوط بغداد والخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ والاحتلال العثماني سنة ٩٤١ اكثر ثراء من العصر العثماني كما يرى الدكتور مصطفى جواد • وسواء صح هذا ام لم يصح ، فان حماس المعنيين بالعصر المغولي او العهد العثماني لا يغير من الحقيقة التاريخية الادبية الكبيرة ، وهي ان الادب العربي كان في انحسار وتراجع وجدب وجمود وعجز عن التطوير والتجديد • وانه تخلف كثيرا عن عصور الازدهار السابقة • وان هذا الحكم ينطبق على العصور المتأخرة كلها اي على العهدين المغولي والعثماني • وقد رفض الدكتور مصطفى جواد هو ايضا اصطلاح (العصر المظلم) لاعتقاده ان الحياة الادبية في العصر المغولي كانت مستنيرة متحركة لعوامل خمسة ذكرها ولكنه تحفظ واحتاط فاعترف بضعف الادب في العصر المغولي وتخلفه عن العصر العباسي •

قال : فالادب العراقي العربي استمر في هذا العصر متماسكا متثاقلا ، واما الضعف الذي أصابه فلم يكن ممكنا التفادي منه لما ذكرنا من ان الدولة العباسية نفسها كانت تأخذ بضبعه (اي ترعاه في عهدها) ولان الاستعراض اي القتل العام اجتاح الادباء كما اجتاح غيرهم من الناس فقلوا قلة ظاهرة .. على اننا لا ننكر ان ذلك الضعف اشتد بمرور الايام حتى بان سوء اثره في المظاهر الادبية دون الجواهر »[٤٤] والحق ان رأي استاذنا رحمه الله ، أو الأسباب التي ذكرها لتحسين مركز ادب العراق في العصر المغولي ووضعه في منزلة او مستوى اعلى تخالف اجماع الباحثين على حالة التردي والضعف والعقم والجمود التي انحدر اليها . ولن يجدي نفعا الاستشهاد بالنشاط الادبي في بعض مدن العراق كالحلة ، او في بعض الاسر مثل بني الجويني او اسرة نصيرالدين الطوسي الفلكي الذي آثر الدنيا الفانية فخدم هولاكو عدو العرب والحضارة والانسانية وعدو الله ورسوله (ص) . وهو شخصية عني بامرها بعض المستشرقين والمتعصبين الطائفيين من القدماء والمعاصرين ولا ترفع العصر ايضا العناية بنتائج بعض الشعراء الكبار كصفي الدين الحلي ، بل ان الذين درسوا هذا الشاعر نفسه اكدوا تدهور الادب في العراق في عصره[٤٥] ولم يفتهم ما غلب علي صفي الدين الحلي نفسه من تصنع وكلف بالمحسنات والالاعيب اللفظية حتى ان شاعريته عجزت رغم قوتها الثقافية والفنية الظاهرة عن مقاومة موجات البديع المتصنع وفنون الشعر الباهتة فانجرفت مع الزبد الذي يذهب جفاء .

---

(٤٤) انظر بحث الدكتور مصطفى جواد : الادب العراقي في العصر المغولي / مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثالث جـ ٢ / ١٩٥٥ م ص٣٠٩-٣٣١

(٤٥) انظر : الدكتور جواد علوش : صفي الدين الحلي ، بغداد ١٩٥٩ .
والدكتور محمود رزق سليم : صفي الدين الحلي . مصر ١٩٧١ . سلسلة نوابغ الفكر العربي رقم ٢٧ .

وما دام السياق قد اجتذبنا الى الكلام عن مكانة ادب العراق فلا ارتاب في ان الجدل الذي دار حول ادب مصر والشام سيكون أشد لو تسنى للمتجادلين البحث الجاد في آداب قطرنا العراقي . فالمعروف ان الحياة الادبية والعلمية والادبية في الشام ومصر كانت اوسع واغنى لاسباب كثيرة بسطها الباحثون ، فقد انقذ الله هذه الاقطار من همجية المغول وجاهلية اخلافهم وذيولهم من الايلخانيين والجلائريين وقبائل قره قوينلو وآق قوينلو خلال القرون الثلاثة الدامية السابقة للفتح العثماني . فمنذ سقوط بغداد وخرابها هاجر الى الشام ومصر وغيرها مئات العلماء والادباء ورجال الفنون هربا من وحشية المغول حاملين ما امكن حمله من كنوز التراث العلمي والادبي . ولم تصل الى الشام ومصر او تستقر فيها الموجات البشرية واللغوية الاعجمية من مغولية وفارسية وتركية . اما الفئات القليلة التي وصلت فقد استعربت ولم تحدث تغييرا يذكر في الادب واللغة والاجتماع . ولم تتعرض الشام ومصر منذ انتهاء الحروب الصليبية الى الكوارث الهائلة والحروب المستمرة الطاحنة ولم تدمر مدنها ويذبح الملايين من ابنائها كما حدث في العراق . ان فرائص الانسان لترتعد وجسده ليقشعر ويرتجف وهو يقرأ ما فعله السفاح هولاكو وعدو البشر تيمورلنك الذي امر جيشه بتعميم القتل في أهالي بغداد حتى ليروي المؤرخون انه بنى ابراجا من جماجم الرجال والنساء والشيوخ والاطفال . ولم تر مصر ولا عاصمة اخرى مثل هذه الفظائع والكوارث الهائلة . ولم يتمزق المجتمع في الشام والحجاز والمغرب ومصر كما تمزق في العراق بالعصبيات المذهبية والفتن الطائفية والمذابح والويلات التي نجمت عنها . نعم كان ابناء تلك الاقطار يعانون ما يعانون من فقر وفاقه ، وظلم وطغيان الزمر والشراذم الاعجمية الحاكمة ويكابدون الويلات والمجاعات التي تخلفها الحروب الخارجية والاهلية الناجمة من صراع المتصارعين والمتقاتلين على السلطة . ولكن الاحوال كانت بلاشك افضل من احوال العراق فمن الطبيعي ان تصبح الحياة الادبية والعلمية اوسع واغنى وان تزداد الفرص لظهور النتاج الشعري

والنثري والعلمي ، وان تتوفر المصادر المختلفة لمن يدرس ويؤرخ نتاج مصر والشام • اما الباحث في آداب العراق ، ولا سيما نتاج العهد العثماني فلا يكاد يجد ما يكفي من المراجع لدراسة الظواهر والشخصيات الادبية • وطبيعي ان ينتشر هذا الضرر في التواريخ والابحاث الادبية الحديثة • فما ان يصل مؤرخ الادب الى العراق حتى يحرر صفحات او فقرات ملخصا ما ورد في التراجم المبعثرة في سلافة العصر لابن معصوم ، والمكررة في خلاصة الاثر ونفحة الريحانه للمحبي ، معتمدا على التراجم القصيرة الهزيلة لعدد قليل من الشخصيات العراقية الواردة في امثال سلك الدرر للمرادي والكواكب السائرة للغزّي • ثم ينتقل بسرعة الى موضوع آخر وكأنه يتنفس الصعداء • ولم يسلم من هذا النقص والغموض حتى تاريخ الادب العربي للمستشرق الكبير بروكلمان على سعته ودقته واهتمامه الشديد بالمراجع(٤٦) • وهكذا بقى تاريخ الادب في العهد العثماني مجهولا او كالمجهول • ومع هذا فقد بذل بروكلمان جهدا مشكورا على الرغم من قلة المصادر وضآلة المادة فعني بالعصور التالية لسقوط بغداد وحاول أن يبين مراحل سيرها التاريخي • واهتم بالعهد العثماني وخص العراق بشيء من العناية • ويبدو ان هذه العناية تطرد قوة وضعفا مع توفر المراجع ولعل هذا سر اهتمامه بالحركة العلمية والادبية في الموصل اكثر من بعض المناطق الاخرى كالبصرة وبغداد كما لاحظ الدكتور عماد عبدالسلام عندما قال « ان بروكلمان قد جعل للموصل مكانا بارزا واستعرض اعمال طائفة كبيرة من ابنائها من العلماء والادباء والشعراء والمؤرخين والفقهاء ونوه ببعض آثارهم واشار الى مصادر دراستهم • ولكنه لم يحط بتراجم المؤلفين الموصليين بل ذكر طائفة منهم ، كما فاته وجود نسخ اخرى من المخطوطات التي ذكرها » ولهذا استدرك الدكتور عماد على

---

(٤٦) بروكلمان GAL (تاريخ الادب العربي) ٢/٢٥٩ طبعة برلين ١٩٠٢ •
وانظر : GIBB : History of Ottoman Poetry

بروكلمان في هذا الشأن فذكر عددا من الموصليين واشار الى آثارهم[٤٧] وهنا يحسن أن نضيف ان الشخصيات الموصليـــة التي اهتـم بهـــا بروكلمان والدكتور عماد اغلبها من القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة • وهو زمـن حظى بعدد من المصادر المطبوعة والمخطوطة • اما القرن العاشر والحادي عشر فما زلنا نفتقر الى الكثير من المصادر المطبوعة والمخطوطة التي اهتمت بهما • وبروكلمان معذور لانه لم يطلع على ما طبع او عثر عليه بعد نشر كتابه الذي مرت عليه الان عشرات السنين • وقد اعترف بروكلمان بانه يجابه هذه الصعوبة كما اكدها الدكتور حسين مجيب المصري في الفصل الذي خصّ به ادب العراق في عصر الشاعر فضولي البغدادي اي القرن العاشر ، فقال : «نرى من الخير ان ننظر في بيئته الخاصة (يعني بغداد والعراق) ، وقبل ان نستمع الى فضولـي وهو يصف بيئته ، نذكر ما انعقد عليه رأي العلم في حقيقة حالها على وجـــه الاجمال • فهذه البلاد التي ازدهر بها الادب على عهد الخلفاء ، قد دخلت من بعد في حوزة المغول والترك ، ورزحت تحت الشديد من تسلطهم • فبعـد ان خربت بغداد على يد هولاكو ، وخيم عليها البؤس ونكد العيش ، قـل من اهلها من تحركت همته الى الاهتمام بأية حركة فكرية او روحية • وقـد خلف الحكام المستنيرين جماعة من المغامرين الغرباء الذين كان معظمهم يجهل العربية ، فما اهتموا بشعر ولا التفتوا الى علم • فنحن لا نعرف من شعراء وعلماء هذا العهد الا القليل[٤٨] » وقد نقل المصري آراء فضولي في شعراء وادباء عصره ، وهي آراء تؤكد تخلفهم وضعفهم • ولسنا في صدد تقييـــم احكام فضولي انما يهمنا توكيد قلة المصادر وشح المعلومـات وشـــكوى المؤرخين وانعكاس ذلك كله فيما كتب عن ادب العراق في العهد العثماني ولا سيما عصره الاول • لهذا سنترك الان اقوال وآراء حسين مجيب عن فضولي

---

(٤٧) د. عماد عبـــدالسلام رؤوف : اعلام التراث الموصلي في تاريخ الادب العربي لبروكلمان بحث مطبوع على الآلـة الكاتبة تكرم المؤلف باهـداء نسـخة منه الي .

(٤٨) حسين مجيب المصري : فضولي البغدادي ١٨١ .

ونقتصر على رأي باحث تركي يؤكد ما شكا منه بروكلمان • والباحث هـــو الدكتور عبدالقادر قره خان المشهور بابحاثه عن فضولي وشعراء عصـــره ، قال : « ان الوثائق والمتون المتعلقة بهؤلاء الشعراء (اي شعراء القرن العاشر والحادي عشر) محدودة الى اقصى الحدود ، وليس في ايدينا الا النزر اليسير منها • فكل ما لدينا من اشعارهم مختارات في كتب تراجم الشعراء ، ولا علم لنا بالاحوال التي تقلبت فيها حيواتهم ولا نوع ثقافتهم ، وحتى تواريـــخ تولدهم ووفاتهم بقيت في طي الخفاء • وغنى عن البيان والحالة هذه اننا نعجز عن ابداء الرأي في شعرهم • واذا قلنا شيئا عنهم فانما نقول مالا اساس له ولا صواب فيه • اما اذا قدر لنا فيما بعد ان نكشف الخفاء عنهم ، ففي هذا الحين فقط نقتدر على ان نقول شيئا »(٤٩) هذا القول غزير الدلالة لان القائل استاذ تركي جليل ، وخزائن تركيا غنية جدا بالمراجع والمخطوطات التي قد تلقي ضوءا على عصر فضولي البغدادي •

اما العراقيون الذين اهتموا بادب العهد العثماني وهم قلة ، فقد اكدوا جميعا شحة المعلومات وقلة المصادر ولا سيما المصنفات والدواوين الخاصـــة بالعصر العثماني الاول ، وشكا من ذلك حتى الذين تناولوا موضوعا صغيرا او شـــخصية ادبيـــة واحـــدة كالاستاذ يعقوب سركيس في مقاله عن حكيم زادة(٥٠) • ومثله كثير • اما الذين انهمكوا في ابحاث شاملة فشكواهم أشد وخير مثل لهؤلاء الباحثين المرحوم الاستاذ عباس العزاوي في كتابه (تأريخ الادب في العراق) فقد كرر في مواضع عديدة ملاحظاته عن المراجع وشكاواه من قلة مصادر العصر العثماني الاول • ولعل هذا هو الذي دفعه الى ان يملأ

---

(٤٩) عبدالقادر قره‌خان Fuzuli, Istanbul 1949 /فضولي/٦٢ (بالتركية) ذكره حسين مجيب‌المصري انظر مقالة عن فضولي : نفس المصدر وراجع د . حسين محفوظ : فضولي البغدادي وهو اول بحث قيم كتب بالعربية عن هذا الشاعر قبل كتاب حسين مجيب المصري المذكور وطبـــع بحث د . محفوظ في بغداد ١٣٧٨ هـ . ويمتاز البحث بكثرة مراجعه .

(٥٠) نشر اولا في مجلة الاعتدال العدد ١/السنة ٥ /١٣٥٧هـ ثم ادرج في كتابه: مباحث عراقية .

الفراغ بذكر اسماء الشعراء الذين ذكرهم اوليا جلبي في كتابه عن رحلته الشهيرة ، ثم الشعراء الذين ذكرهم (عهدي) في كتابه (كلشن شعرا) • وكل اولئك الشعراء تقريبا من الاتراك او البغاددة والعراقيين الذين استتركوا فنظموا الشعر باللغة التركية الآذرية الشائعة آنذاك او بالفارسية وشهد لهم او لبعضهم بالتضلع في اللغة التركية او اعتبروا من شعرائها الاوائل • ولا علاقة لهؤلاء بالادب العربي في هذا العصر او غيره ، الا اذا وجدنا بينهم من نظم شعرا عربيا كالشاعر فضولي • ولا يصح ان نعدهم جميعا ، وبدفعة واحدة ، شعراء عربا وان كان بعضهم او جلهم من اهل بغداد او سكنتها • فالرحالة التركي اولياجلبي وعهدي البغدادي صاحب كلشن شعرا (حديقة الشعراء) يهتمان بالشعر التركي ولا يمكن ان نقحم من ذكراهم فيشعراء العرب ونضعهم في مصاف شعراء العصر العثماني الاول كالشاعر الاديب عبدعلي بن ناصر الحويزي وشهاب‌الدين الموسوي المشهور بابن معتوق وامثالهما • وطبيعي ان هذه الملاحظة لا تقلل من قيمة كتاب العزاوي فمازال مرجعنا الاول عن ادب العراق في العهد العثماني وان كان حظ تاريخ الادب قليلا فيه لتكريسه فصولا طوالا عن اللغويين والنحويين والمؤرخين وغيرهم ويبدو انه يفهم الادب بالمعنى الواسع الشامل الذي نسميه اليوم تاريخ الثقافة •

وممن شكا من قلة المصادر من اصحاب الابحاث المفصلة الشيخ محمدعلي اليعقوبي في كتابه (البابليات) عن شعراء الحلة ، وسلمان هادي الطعمه في كتابه عنشعراء كربلاء وبعض جامعي التراجم كالشيخ علي الخاقانيوالشيخ اغا بزرك صاحب الذريعة وكرر هذه الشكوى الذين قاموا بابحاث اكاديمية وهم قلة تعد على الاصابع نذكر منهم محمد حسن علي مجيد في رسالته (الشعر في الحلة) واحلام فاضل في رسالتها (السيد حيدر الحلي) وكلاهما نال بها درجة الماجستير من كلية الاداب بجامعة بغداد[٥١] •

---

(٥١) انظر الرسالتين وهما مطبوعتان على الآلة الكاتبة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب / جامعة بغداد .

لقد سقنا هذه الاسماء للتذكرة والتوكيد والتنبيه ، لاننا لا نكاد نجد شيئا مهما عن شعراء وادباء القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة • وتعليق الباحثين لهذه المشكلة ان العراق في ذلك العصر قد شغلته واذهلته كوارث الصراع الايراني ـ التركي ، فقد احتله الصفويون في بداية القرن العاشر بعد ان خاضوا حروبا شعواء ضد التركمان (قرة قوينلو) • ثم حاربهم العثمانيون وانتزعوا منهم بغداد التي وفق الصفويون الى احتلالها ثانية في عهد الشاه عباس الى ان طردهم منها السلطان مراد كما سبق بيانه • وخلال تلك المرحلة الدامية كانت الحروب وويلات الحصار وفواجع التخريب والتدمير والنهب والانتقام السياسي والمذهبي تسحق العراق وأهله الذين لم يكن لهم هم غير النجاة بارواحهم واولادهم واعراضهم واموالهم ، فانشلت الحياة الاجتماعية والعلمية والادبية وكانت الحياة الثقافية كلها في حال من الضيق والهزال يزيدان من سريان وانتشار الشلل الفكري والفني • ولعل اول ما يلفت انظار الباحثين في اداب هذه المرحلة الاولى من حكم العثمانيين قلة تراجم العراقيين في مصادر الادب والتاريخ والتراجم المتأخرة المعنية بهذا العصر ، فكتاب (سلافة العصر) فيه ست تراجم لشعراء عراقيين وتسع تراجم للبحرانيين ، ولم يتجاوز المحبي هذا العدد في (خلاصة الاثر) ولا في (نفحة الريحانة) • وسنرى ان كتاب (نشوة السلافة) للشيخ محمد علي بشارة (وهو من العراقيين) وكان كتابه مفقودا ثم وجد ونشر ، هذا الكتاب يخيب الآمال لان استدراكه على السلافة جعلنا نأمل في المزيد من النصوص والتفاصيل عن شعراء العراق وهو ما لم نجده فيه • فالجزء الاول منه اختصار لتراجم اوردها صاحب السلافة والجزء الثاني قليل الفائدة مع انه يذكر نحو خمسين اديبا وشاعرا ، وعلة ذلك انه اقتصر على مختارات قليلة جدا من اشعارهم ، واعرض او عجز عن تقديم اخبارهم ولم يذكر تواريخ وفياتهم • وكان لنا امل في ان نجد ضالتنا في كتاب ضخم آخر اشار اليه الاستاذ عباس العزاوي وعثرنا على مخطوطته في خزانة

المتحف العراقي ، هو (كنز الاديب) للشيخ احمد بن درويش البغـــدادي (١٢٦٣ ــ ١٣٢٧ هـ) • ومع ان الكتاب يشير الى بعض الاحداث الطريفة ذات المغزى الاجتماعي المفيد للمؤرخ الحديث كظهور الدخـان (التبـغ وتدخينـه) سنة ١٠١٢ هـ والتلغراف •• الخ الا اننا على الرغم من الفحص المنهك ، لمجيء المخطوطة في سبع مجلدات غير مرقمة ولا مفهرســـة ، لم نجـد فيهـا سوى اخبار واشعار قليلة هزيلة لشعراء وادباء من القرنين الثاني والثالث عشر الهجري أي من العصر العثماني الاخير او الثالث الذي يمتاز عن العصريـن السابقين بتعدد مصادره المخطوطة والمطبوعة ووجود عدد مرض من الدراسات المعاصرة عن شعرائه وادبائه ولاسيما ما يدخل من سنيه في القـرن التاســع عشر للميلاد • اما ادب القرون العثمانية السابقة فليس في (كنز الاديب)شيء مفيد عنها(٥٢) •

اما الدواوين فالمطبوع منها، والمخطوط الذي ينتظر التحقيق والنشر قليل جدا بالقياس الى عدد الشعراء ولهذا ينطبق على الادب في العراق ما ذكره الدكتور شكري فيصل عن عموم دواوين الشعر العربي في العهد العثماني فقـد صرح في البحث الذي سبق ذكره انه جمع مائة بطاقة بأسماء مشاهير شعراء العصـر ثم بحث عن دواوينهم المطبوعة والمخطوطة فلم يجد منها سوى خمسة وعشرين ديوانا(٥٣) ومشكلة ضياع دواوين الشعر وقلة ما وصل منها قائمة في جميع العصور السابقة ، ولنا بحث مسهب في هذا الموضوع نشرنا بعض فصوله(٥٤) واستطيع ان ازعم ان حظ العصور العثمانية افضل من العصور السابقة ففي خزائن الكتب في العراق عدد غير قليل من دواوين شعرائها ، مع ان الشعـر العربي في هذا العهد يضلع وراء شعر العصور العباسية ويتخلف عنه بمسافات

---

(٥٢) كنز الاديب/خزانة المتحف العراقي / مخطوط .

(٥٣) شكري فيصل : المرجع نفسه ٥ .

(٥٤) انظر بحثنا دواوين الشعر العباسي مجلة كلية الآداب العدد ٨/١٩٦٧ .

الديدان . وقد قام عدد من المحققين والباحثين العراقيين بجهد مشكور لسد الفراغ بنشرهم وتحقيقهم لبعض مصادر الادب العثماني من كتب تراجم ودواوين . نذكر منهم السيد بحر العلوم ناشر كتاب نشوة السلافة[٥٨] والدكتور سليم النعيمي الذي قام بتحقيق ونشر كتابين من اهم مصادر الادب للقرنين الحادي عشر والثاني عشر هما كتاب (شمامة العنبر) لمحمد مصطفى الغلامي (ت نحو من ١١٦٨ هـ) وكتاب الروض النضر لعصام الدين العمري (١١٣٤ - ١١٨٤ هـ) والكتابان يمثلان حلقة من سلسلة المصنفات التي عنيت بتراجم الشعراء المعاصرين وتسجيل اشعارهم ابتداء بيتيمة الدهر .. الخ والدكتور النعيمي يشخص خصائص وعيوب الشمامة بكلام كرره في مقدمة الروض النضر قال : وصاحب الشمامة مثل من سبقه كصاحب الريحانة وغيره (يعني مصنفي القرون المتأخرة) حين يترجم للادباء فهو لا يذكر سني ولادتهم ووفاتهم ولا يكاد يذكر شيئا من أحداث حياتهم ، وانما يصف فضلهم وادبهم وشعرهم بنثر مسجوع تتساوق فيه اغلب اوصاف المترجم لهم ، ثم يورد شيئا من شعرهم ونثرهم في اغلب الاحوال ، وقد لا يذكر شيئا من ذلك لبعض من ترجم لهم . وقد يورد اشعار من سبق المترجم له في المعنى ويرد المعاني الى مبتكريها . وقد يستطرد فيذكر كثيرا من الفوائد الادبية ، وهو يذكر المصادر في احيان قليلة ويغفل ذكرها في اغلب الاحيان ، وكل ذلك يدل على اطلاع المؤلف على اشعار القدماء وثقافته الادبية الواسعة[٥٩] » وفي مقدمته لكتاب الروض النضر يكرر ملاحظته بالفاظ مرادفة ولكنه يؤكد عناية المؤلف بادباء العراق الذين حظوا بمائة واربعة عشر ترجمة . ثم يعقب الدكتور النعيمي على ما في الروض النضر والشمامة من فوائد ادبية بملاحظة مفيدة

---

(٥٨) نشر السيد محمد بحر العلوم الجزء الاول من النشوة وطبع في النجف . تأريخ وانظر مقدمة د . سليم النعيمي لكتاب الروض النضر بتحقيقه ونشر المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٧٤ م .

(٥٩) انظر مقدمة د . سليم النعيمي لكتاب شمامة العنبر بتحقيقه ونشر المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٧٧ م

فيقول : ويظهر انه اعتمد في ذلك على اصحاب كتب البديـــع مثل ابن حجة الحموي والصلاح الصفدي وكتب تراجم الشعراء ينقل منها النص نقـــلا او يختصره اختصارا ، وهو يذكر المصادر في احيان قليلة ويغفل ذكرهـــا في اغلب الاحيان ...

والكتاب في جملته سجل لشعر عدد كبير من الشعراء والادباء في العراق ونثرهم في القرن الثاني عشر الهجري . وهو مصدر مهم من مصـــادر الادب في هذه الفترة الغامضة من تاريخ العراق الادبي »[٦٠] والحق ان الكتابين من اهم المصادر وقيام استاذنا الكبير الدكتور سليم النعيمي بتحقيقهما ونشرهما عمل جليل جدير بالتهنئة والشكر الجزيل . زد على هذا انهما نموذج حسن للنثر العربي المصنع السائد في العصر العثماني ، نموذج يثبت ان مؤلفيهما من كبار كتاب العصر .

ان الحديث عن مصادر العصر ومراجعه يوجب علينا انجاز مـــا ذكـــره مؤرخه الاستاذ عباس العزاوي رحمه الله ، فقد صنفها في مقدمة الجزء الثاني من كتابه الى خمسة اصناف هي : كتب الجادة ، الاجازات ، مؤلفات العصـــر وما خلفه رجاله ، المجاميع الادبية ، الكتب التاريخية[٦١] . والاولى والثانيـــة قليلتا الاهمية في دراسة النتاج الادبي ، ويمكن القـــول ان الصنف الخامس (الكتب التاريخية) كالكواكب السائرة ، وخلاصة الاثر ، وسلك الـــدرر ، وحديقة الزوراء ، ومطالع السعود ... وفهارس خزائن الكتب ، وكشـــف الظنون وذيوله ، لا تطرد اهمية كل نوع من انواعها المذكورة ، اذ تتفـــاوت معطيات ومواد كل منها وتختلف باختلاف نوع الكتاب ومنهجـــه ، حتى ان تراجم الكتاب الواحد تختلف احيانا فتطول وتقصر ، وتكثر اخبار او مختارات بعضها او تقل وقد تختفي تماما . وفائدة كتب التراجم المذكورة تكاد تقتصـــر

---

(٦٠) العزاوي : تاريخ الادب العربي العراق ٢/١١-١٢ .

(٦١) العزاوي المرجع نفسه ٢/١٧٨-١٨٠ .

على الدراسات العامة اما الدراسات التفصيلية ولا سيما التي تعنى بالشخصيات المهمة .. فحصيلتها من هذه الكتب قليلة محدودة . وللاستاذ العزاوي ملاحظات جيدة عن خصائص الشعر ، وعن مصادر العصر تتناثر في كتبه وهي التي تعنينا هنا لاننا نستفيد من هذه الملاحظات وغيرها عند الكلام عن خصائص الشعر او عند دراسة العصور العثمانية . لقد اكد العزاوي في مواضع عديدة مشكلة قلة المصادر وضياع الكثير منها ، ولم يفته ايضا اهتمام مصنفي تراجم القرون الثلاثة أو والاربعة ابتداء من القرن العاشر ، بشعراء العراق وادبائه ورجاله ، ولا ما يشوب هذه المصنفات من هنات اذ قال وهو يتحدث عن سلافة العصر : « وكان نهج صاحبها تابعا لما رآه في يتيمة الدهر ، وفي دمية القصر ، ولما اطلع على الريحانة (ريحانة الالباء) اعجب بها فذكر ما لم يذكر فيها ، او اورد مختار ما لم ينتحب من اهل المائة الحادية عشرة ، وزاد ما اغفله صاحب الريحانة فكتب سلافته فكانت موضحة ومكملة ، وفي كلتيهما لم يتعرض لادباء العراق (اظن انه تعرض ولكن بمقدار ضئيل) . اما الريحانة فأتمها المحبي في (نفحته) وجاء ابن السمان فاكملها . ونشوة السلافةامتازت بتراجم ادباء عراقيين ..

وهكذا جاء الروض النضر بمن عندنا ، وشمامة العنبر ، ومنهل الاولياء . ومجاميع عديدة مثل رحلة السويدي (النفحة المسكية) ، ونزهة الدنيا ، ومجموعة أحمد أغا ، ومجموعة السيد عمر رمضان ، وحديقة الورود وآثار ادبية اخرى ودواوين عديدة .. الخ

« وكل المؤلفات الادبية المذكورة تقطع بازدياد المادة الادبية وتكاملها ، والدواوين لا تحصى ، والمراسلات لا تعد ، والمنظوم والمنثور لا يحد ، والمنتجات وافرة ، فلا يقال ان الادب قد مات ، ولا الشعر ولا النثر ، او النثر اغفل امره ولم يبق له اثر الا في لغة العوام ...

« وعلى كل حال اذا كان قد جاءنا الادب العـــربي مفكك الاوصـــال والاطراف ، قليل المادة لم يكشف عن صحة حقه فقد لمنا متفرقـــه وجمعنا مشتته بالرغم من ان حالته في اضطراب . وقلة المجاميع والدواوين تصدق على اوائل العهد العثماني الاول ، والا فقد برز اوضح في العهود التالية ، وتوفرت مادته في ايام المماليك ومن بعدهم فالاثار كانت مطمورة ...

« نعم ان هذه تعد عصور مظلمة لانها لم تظهر فيها الاداب فائضة ، ولم تكن طامية السيل ، ولاقل حادث تندثر ، فهي عصور توقف لا عصور فيض ، واوقات جمود واهمال لا ازمان قدرة .. وبعضها اندثرت فيها الاثار وكادت تمحى ، او انها لا تزال في خفايا النسيان . ومهما كان الامر فقد خلف العراق في المنثور مادة لا يستهان بها »(٦٢) قال العزاوي هذا الكلام في معرض حديثه عن الادب العربي المنثور كما سماه اما الشعر فيحسن انورد له قولـــه :

« وعندما توالى الشعراء ، وكان امرهم غامضا في بدء هذا العهد خفى علينا تاريخهم ، وغاب الكثير من اسمائهم لقلة المصادر من جهة ، ومن جهـــة اخرى لم تشغلهم المطالب المهمة ولا المقاصد العالية فكل ما طرقوه لا يدل على سمو في الفكرة ، ولا على غرض جليل ولا (قيمة) علمية .. ولكن لا يهمل امرهم ، ولا يترك شأنهم ، وانما نرعى تاريخ مشاهيرهم باطراد ، ونلمس نمو الرأي والتقدم في الفكرة ورقة ... »(٦٣)

---

(٦٢) المرجع نفسه ٢/٢٤٧ .

(٦٣) نفسه .

History of Ottoman Paety

II, 259 GAL ⅛(8k

A. A. Karahan : Fuzuli 62 (Istanbul 1949)

وملاحظات العزاوي لها اهميتها ودلالتها البالغة ، فقد كان ـ رحمه الله ـ اكثر الباحثين معرفة بمصادر التاريخ والادب في العصور المتأخرة ، ودراساته على الرغم من افتقارها الى العرض المنهجي المنظم الحديث ، والنظرة الادبية والنقدية الشاملة ، ما زالت المرجع الاول لمن يهتم بهذه الحقبة الطويلة من تاريخ العراق ، فتراجمه الكثيرة ، ومصادره ، وهوامشه ، عظيمة الفائدة غزيرة المادة .

والعهد العثماني وثيق الصلة بالعصر المغولي (٦٥٦ ـ ٩٤١هـ) الذي يسمى في مصر والشام بعصر المماليك . والادب العربي في (عصر المغول والمماليك) هذا يبدو ـ كما في العصور السابقة واللاحقة ـ ادبا عربيا واحدا من حيث الاغراض والفنون والموضوعات والمعاني والافكار والاخلية والصور والاساليب والاوزان والقوافي ... الخ اما الطابع المحلي الذي يميز ادب اقليم عن اقليم آخر فلا تأثير له في البنية الفنية للشعر والنثر انما هو عائم على السطح متمثلاً في اسماء الاماكن والاعلام والاحداث المحلية والعلاقات السياسية وما اشبه . وكانت الامواج او الدوافع العامة التي تحكمت في الثقافة هي هي في مصر والشام والعراق وحتى في المغرب ، فادب ما بعد سقوط بغداد غلبت عليه موجة احياء التراث العربي الاسلامي الذي هدده الغزو المغولي والاعجمي والفرنجي بالفناء . وكان لكثرة المدارس وانتشارها الفضل الاكبر في ترجمة حركة الاحياء الى عمل مبرمج . وهذا سر كثرة كتب التاريخ العام والتراجم والمجموعات والمختارات والتلخيصات والشروح .. الخ لقد صار (الماضي) اي التراث العربي الاسلامي محور الاهتمام وقبلة الانظار والواجهة التي نشطت من ورائها النزعة العربية بعد ان غلب العرب على امرهم وتسلط عليهم الاعاجم . ومن شأن التوجه المستمر الى الماضي تقوية نفوذ (النماذج) الفنية القديمة ومضاعفة الرغبة في محاكاتها ومضاهاتها . واذا كانت الاعصر

العباسية قد تجاوزت المضاهاة والمحاكاة الى الابتكار والاصالة والتجديد على ايدي عباقرة الشعر والنثر كبشار وابن المقفع وأبي نواس والجاحظ او أبي تمام وابن الرومي والمتنبي وابي العلاء وأمثالهم فلأن تلك الاعصر كانت غنية بالحوافز والدوافع المساعدة على ذلك . اما في العصر المغولي والمملوكي والعثماني فقد زالت معظم تلك الحوافز وضعف ما لم يزل منها . فالحكام اعاجم والناس كلكلت عليهم العجمة والرطانة والامية والجهل ، والشعراء لم يبق بينهم محترفون متفرغون للشعر فهم اناس يزاولون مختلف الحرف ليقتاتوا منها اما الشعر فينظمونه ترفا او تملحا وتظرفا او مجاراة او منافسة او لمجرد قتل الوقت وملء الفراغ . وقد شرح مؤرخو الادب في العصور المتأخرة هذه الدوافع والاسباب والعوامل فلا موجب للاعادة والتكرار . انما الجدير بالذكر والتذكير ان عوامل الثقافة وخصائصها هي نفسها السائدة في العصر العثماني مع العلم ان هذا الاخير قد تخلف في فنون الادب الفصيح وفي مقدمتها الشعر . وطبيعي ان يحتم علينا هذا القاء نظرة عاجلة على ادب العصر المغولي وخصائص الشعر والنثر فيه وفنونهما واغراضهما ليتسنى لنا عرض ابرز الاغراض والفنون الشعرية والنثرية والخصائص الفنية الرئيسية السائدة فيهما ، ثم دراسة كل عصر من العصور العثمانية الثلاثة والوقوف على اهم موضوعاته وشخصياته وهو ما سنحاول انجازه وتقديمه للنشر في اقرب وقت ان شاءالله .